# رحلة محمد الصادق باي الى الجزائر

د. احمد الطويلي

لا نجد في المصادر الفرنسية المتوفرة لدينا والخاصة برحلة نابليون الثالث للجزائر سنة 1860 الا ذكرا عابرا للباي محمد الصادق في زيارته للجزائر ومقابلته للامبراطور الفرنسي (1)، وقد ذكر كوردان في كتابه «نابليون الثالث والجزائر» ان الباي التونسي وأخاه سلطان المغرب جاءا خصيصا من بلديهما لتحية الامبراطور (2)، في حين ان لنا تفصيلا لهذه الزيارة في الرحلة التي قيدها الجنرال حسين وكتبها في 8 ربيع الاول سنة 1277 (اكتوبر 1860) لخير الدين حينما كان وزيرا للبحر ثم نشرت في الرائد التونسي في عدد يوم 20 ربيع الاول من نفس السنة (10 اكتوبر 1877)، كما نشرت مفردة في كتيب في 23 صفحة بمطبعة تونس سنة 1277 وهي مطبعة الرائد. وهذا تفصيل الرحلة كما وردت في تقييد الجنرال حسين:

- يوم 10 سبتمبر على الساعة التاسعة، ركب محمد الصادق باي سفينة «الصاعقة» في موكب بحري كبير، في وفد تونسي لا يذكر منه الجنرال حسين الا الوزير الاكبر مصطفى خزندار، واستفدنا اسماء سائر اعضاء الوفد من خبر احمد بن ابي الضياف عن الرحلة الصادقية الى الجزائر (2).

- يوم 17 سبتمبر وصل ركب الباي الى ميناء الجزائر، ووافق وصوله وصول بارجة الامبراطور الفرنسي مع ما يرافقها من السفن في موكب كبير. لكن الباي لم ينزل الى البر الا في الزوال بعد ثلاث ساعات من نزول الامبراطور حينما جاءه احد معيني نابليون الثالث واخذ الركب التونسي في كراريس الى

منزل معد له وهو منزل الوالي في دار عمر باشا.

واستقبل الباي حين نزوله الي البر باطلاق المدافع وركب الكروسة واصطفت العساكر ميمنة وميسرة لتحيته وعزفت المتوسيقى العسكرية، وازدحم الناس لرؤيته. وفي منزل اقامته زاره عدد من الجنرالات الفرنسيين. ونلاحظ ان الامبراطور الفرنسي لم يأت لمقابلته كما لم تأت شخصية مهمة لاستقباله وهو ملك تونس. وتوجه الباي من مقره توا لزيارة الامبراطور في مقر الحكومة، فاستقبله صحبة زوجته اوجين دي مونيق Eugénie de Montijo، وكان ليون روش Léon Roches قنصل فرنسا بتونس هو المترجم. وليس لنا من المقابلة الاولى اي نص للحديث الذي دار بين الباي والامبراطور سوى كلمة هذا الاخير: "تعبت لاجلي وركبت البحر جوزيت عني احسن جزاء". ثم غادر الباي مقر الحكومة. وفي الليل حضر مأدبة غابت عنها الامبراطورة بسبب مرض أختها وسادت المأدبة مفاكهات وملاطفات. ومنح الصادق باي في هذه الليلة نيشان العائلة الحسينية (نيشان الدم) للامبراطور وهو نيشان لا يوهب اصلا الا لاعضاء البيت الحسيني، علقه له وزير الجزائر في الابان. ثم غادر الباي الامبراطور قاصدا مقر اقامته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- يوم الثلاثاء 18 سبتمبر ارسل نابوليون الثالث للباي نيشان الشرف الاكبر Le grand cordon de la légion d'honneur مرصعا بحجر الماس، واهدى لمصطفى خزندار حقة مرصعة رسمت عليها صورة الامبراطور. كما اعطى نواشن لبعض اعضاء الوفد التونسي. وارسل الباي بدوره عدة نواشن للعديد من اعيان الدولة الفرنسية كما استقبل في محل اقامته عددا من كبراء الجيش الفرنسي ووجوه البلاد. ثم خرج على الساعة الثالثة بعد الزوال للتنزه في كروسة في ملعب خارج المدينة، وكان مصحوبا بالخيالة. وشاهد مناورة حربية شارك فيها بعض الفرسان العرب. وجلس في التخت شمال نابليون الثالث.

ونجد في تقييد الجنرال حسين وصفا دقيقا لهذه المناورة، كما حضر الباي

مشهد صيد شاركت فيه الكلاب السلوقية والصقور والخيل والفرسان لصيد الغزلان والنعام. واستمع الباي الى خطبة القاها احد الجزائريين من اعوان الفرنسيين ينوه بالسلطة الفرنسية ويمجدها. وفي الليل حضر الباي مأدبة عشاء عربي اعد في الخيام. وكان الامبراطور يلاطفه اما بالكلام ان كان هنالك مترجم او بالاشارات. وغادر الباي الحفل حينما غادره نابليون الثالث وزوجته. فركب محمد الصادق باي كروسة ورجع الى منزله.

وفي تلك الليلة حضر مصطفى خزندار وبقية الوفد التونسي حفلا راقصا. وتغيب الباي لان الامبراطورة غابت عنه لمرض اختها، ولان نابليون الثالث سوف يفتتحه وينصرف. يقول الجنرال حسين: «اخذ كل رجل كان هناك الا من قل بيد امرأة وطفقوا يرقصون الرقص المعهود». لكن الوزير مصطفى خزندار رجع الي المنزل، وبقي التونسيون الاخرون الى الصباح. يقول الجنرال حسين عن الساهرين تلك الليلة: «وبات الجميع احسن مبيت».

- يوم الاربعاء 19 سبتمبر استقبل الباى في محله شخصيات اخرى، وحضر مأدبة غداء اقيمت على شرف الامبراطور والامبراطورة في بستان مصطفى باشا. وجلس الباي على يمين الامبراطورة، ووضعت تحت المنادل ميداليات من النحاس المفضض للذكرى فيها وجها نابليون الثالث وزوجته واسماهما. وكانت اوجيني دي مونتيق تلاطف الباي خاصة بنطق كلمات بالعربية تسأل عنها الحاضرين. واثر المأدبة اختلى الامبراطور بالباي في علو مشرف على البحر بحضور مصطفى خزندار والقنصل ليون روش والجنرال منتانبري Général Martimprey. ولم يحضر الجنرال حسين لينقل لهما ما دار من حديث بين الباي والامبراطور. وقبل مغادرة الباي بستان مصطفى باشا شاهد عرضا عسكريا مع نابليون الثالث، مرت امامهما الاف العساكر. ثم حيا الباي الامبراطورة وخاطبه الامبراطور مودعا اياه بهذه الكلمات التي وجهها للمترجم: «قل لسيادة الباي اني ممنون له للغاية من زيارته هذه وانها وقعت مني الموقع الحسن. وقل لسيادته ان لي مني حبيبا يمكن له ان يعتمد على محبته وليرجع في سلامة الله ولا تكون هذه خاتمة التلاقي ان شاء الله، بل نرى بعضنا فيما يستأنف بحول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوته».

ومن هذه المقابلة ذهب الباي مباشرة الى السفينة، واقلعت «الصاعقة» في الساعة التساعة، واطلقت المدافع. ووصلت سفينة الباي الى تونس يوم الجمعة 21 سبتمبر.

وفي كتاب «كوردان» نجد ذكرا موجزا لما فصل فيه الجنرال حسين القول فيما يتعلق بحفل المناورة الحربية «الفنتازيا» التي وقعت يوم 18 سبتمبر قرب الدار المربعة، واعدها الجنرال يوسف، وكذلك حفلات الغذاء والعشاء وخاصة الحفل الراقص. وقد اشار كوردان الى خطاب القاه الامبراطور الفرنسي في أخر المأدبة التي اقامتها بلدية الجزائر، وقد الح فيه على ضرورة بعث الحضارة في الجزائر ووعد المعمرين الفرنسيين باقامة مؤسسات بالعاصمة الجزائرية مثيلة للمؤسسات الفرنسية. ولكن الامبراطور لم يبق في هذه الرحلة الجزائرية الا يومين، اضطر مع زوجته الى مغادرة الجزائر اثر وصول نعي اخت الامبراطورة باكا دي منتيقو Paca de Montijo اليهما، واعدا بالرجوع، ولكنه لم يتمكن منه الا بعد خمس سنوات، في 3 ماي 1865 حيث بقي في الجزائر اكثر من شهر (من 3 ماي الى 7 جوان).

وفي رحلة الامبراطور الثانية الى الجزائر لم يعد الباي الي زيارته ولكنه ارسل اخاه الامير الطيب باي الى عنابة حيث التقى بنابليون الثالث في اليخت الامبراطوري يوم 6 جوان 1865، وتحادثا طويلا. واستدعاه الامبراطور مع مرافقيه الى مائدة الغداء. وحضر الضيافة مطران تونس الاب هوتر Hutter وقنصل فرنسا العام بتونس دوشان دي بلكور Duchesne De Bellecourt والجنرال رافو Général Rafo المترجم والجنرال سليم والتاجوري طبيب الباي، كما رافق الامير الجنرال حسين وكان اذاك أميرالا ولكنه لم يكتب شيئا هذه المرة.

ويذكر اوكتاف تيسير Octave Teissier مقيد رحلة الامبراطور الثانية ان باي تونس ارسل اخاه الطيب الى الامبراطور لتهنئته وللتعبير عن مشاعره الطيبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صوبه (4). وبقي الوفد التونسي بعنابة طويلا ولم يغادرها الا بعد مغادرة الامبراطور لها. ونزل الامير الطيب باي الى عنابة وادى زيارة الى المستشفى، ووهب الفين من الفرنكات للمكتب الخيري موصيا ان توزع على فقراء المدينة بصرف النظر عن الجنسية والديانة (5). ونلاحظ ان الامبراطور لم يصطحب زوجته في هذه الزيارة الثانية الى الجزائر وقد نابته على العرش.

**رحلة الصادق باي تقييد الجنرال حسين وانحاف اهل الزمان :**

كتب الجنرال حسين تقريره لخير الدين وكان وزيرا للبحر، ليطلعه على ما قام به الصادق باي في الجزائر من اتصالات وما أجراه من احاديث وكيف استقبله الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث وذلك في اطار خطة خير الدين للالمام بما يحاك في الداخل والخارج من مؤامرات ضد سيادة الدولة التونسية ومن محاولات فرنسية لبسط السيطرة التامة على البلاد والعباد تمهيدا للاعلان على نصب الحماية الفرنسية علي تونس. ونشير الى ان محمد الصادق هو الباي الثاني الذي خرج من الحدود التونسية وقام برحلة لمقابلة اصحاب النفوذ الفرنسي بعد المشير الاول احمد باي الذي ادى زيارة رسمية الى فرنسا من 5 نوفمبر الى 31 ديسمبر 1846 (6).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الوفد الذي صاحب محمد الصادق باي الى الجزائر يضم مصطفى خزندارالوزير الاكبر، ومصطفى باش آغة وزير الحرب، ومحمد البكوش كاتب سر مصطفى خزندار، والياس مصلى مستشار وزارة الخارجية، وعددا آخر من الاعيان المقربين الى البلاط الحسيني. ولم يكن المؤرخ التونسي احمد ابن ابي الضياف ضمن الوفد، اذ ابعد قبل ذلك من كتابة السر والاشراف على الكتابة الخاصة للبايات، الا انه اشار الى نص هذه الرحلة في الباب الثامن الخاص بالصادق باي من «اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهدا الامان" عند حديثه عن هذه الزيارة فقال: «وخبر هذه الرحلة مستوفى البيان، برسالة حسنة من أبي عبد الله حسين رئيس المجلس البلدي، الى وزير البحر ابي محمد

خير الدين، محررة في رائد يوم الجمعة العشرين من ربيع الاول سنة 1277 (5 اكتوبر 1860)» (7).

وذكر احمد بن ابي ضياف تفاصيل اخرى لم يذكرها الجنرال حسين أو ذكرها ولكن منشيء «الرائد» حذفها لاعتبارات سياسية. وأورد صاحب «الاتحاف» إن الصادق ناول نابليون الثالث قانون «عهد الامان» مباشرة من يده ليده، تأكيدا لاستمرار العمل به، واعطاه على ذلك نيشانا، وصرح له باستحسان القانون وفوائده. بما لا يصدر الا من ملوك الحرية (8).

يقول ابن ابي الضياف: الا ان غاية هذه الرحلة هو التعبير لفرنسا عن صداقة اسرة البايات لفرنسا والولاء لها وذلك بتأثير من قنصل فرنسا بتونس ليون روش وفي هذا الشهر (سبتمبر) بلغ الباي ان سلطان الفرنسيين «لوي نبليون الثالث» قادم بنفسه للجزائر، فاشار قنصل الفرنسيين على الباي بالتوجه الى لقائه. وفاوض الباي وزراءه في ذلك فرأوه من السياسة والمصلحة الواجب اعتبارها مع جار قوّي» (9).

وبدأ الباي يستعد للسفر وكاتب الاهالي بما نصه:

«أما بعد فأنه بلغنا ان المعظم المفخم حضرة امبراطور الفرنسيين قادم الى الجزائر بنفسه، ورأينا المصلحة السياسية تقتضي ان نتوجه لملاقاته بنفسي. ولا مصلحة عندي أهم من تقوية اسباب الهناء والعافية لوطننا. ولهذا نستعمل السياسات لراحتكم وتأكيد الهناء واسباب العمران لساحتكم. وقد أنبت فيكم المرَفْع شأنه أمير الامراء اخانا سيدي حمودة باي ينفذ ما يقتضيه الرأي بمجلس مشورتي ورجال دولتي. وأرجو الله ان لا اغيب عنكم الا اياما قليلة. فاقرأ كتابنا هذا على اعيان عملك، وحقق لهم الخبر حتى لا تشوش نفسوهم عند سماع السفر، واستودعكم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والسلام» (10).

وأقام الباي التونسي في الجزائر ضيفا على الامبراطور الفرنسي مدة تمتد

مشهد صيد شاركت فيه الكلاب السلوقية والصقور والخيل والفرسان لصيد الغزلان والنعام. واستمع الباي الى خطبة القاها احد الجزائريين من اعوان الفرنسيين ينوه بالسلطة الفرنسية ويمجدها. وفي الليل حضر الباي مأدبة عشاء عربي اعد في الخيام. وكان الامبراطور يلاطفه اما بالكلام ان كان هنالك مترجم او بالاشارات. وغادر الباي الحفل حينما غادره نابليون الثالث وزوجته. فركب محمد الصادق باي كروسة ورجع الى منزله.

وفي تلك الليلة حضر مصطفى خزندار وبقية الوفد التونسي حفلا راقصا. وتغيب الباي لان الامبراطورة غابت عنه لمرض اختها، ولان نابليون الثالث سوف يفتتحه وينصرف. يقول الجنرال حسين: «اخذ كل رجل كان هناك الا من قل بيد امرأة وطفقوا يرقصون الرقص المعهود». لكن الوزير مصطفى خزندار رجع الي المنزل، وبقي التونسيون الاخرون الى الصباح. يقول الجنرال حسين عن الساهرين تلك الليلة: «وبات الجميع احسن مبيت».

- يوم الاربعاء 19 سبتمبر استقبل الباى في محله شخصيات اخرى، وحضر مأدبة غداء اقيمت على شرف الامبراطور والامبراطورة في بستان مصطفى باشا. وجلس الباي على يمين الامبراطورة، ووضعت تحت المنادل ميداليات من النحاس المفضض للذكرى فيها وجها نابليون الثالث وزوجته واسماهما. وكانت اوجيني دي مونتيق تلاطف الباي خاصة بنطق كلمات بالعربية تسأل عنها الحاضرين. واثر المأدبة اختلى الامبراطور بالباي في علو مشرف على البحر بحضور مصطفى خزندار والقنصل ليون روش والجنرال منتانبري Général Martimprey. ولم يحضر الجنرال حسين لينقل لهما ما دار من حديث بين الباي والامبراطور. وقبل مغادرة الباي بستان مصطفى باشا شاهد عرضا عسكريا مع نابليون الثالث، مرت امامهما الاف العساكر. ثم حيا الباي الامبراطورة وخاطبه الامبراطور مودعا اياه بهذه الكلمات التي وجهها للمترجم: «قل لسيادة الباي اني ممنون له للغاية من زيارته هذه وانها وقعت مني الموقع الحسن. وقل لسيادته ان له مني حبيبا يمكن له ان يعتمد على محبته وليرجع في سلامة الله ولا تكون هذه خاتمة التلاقي ان شاء الله، بل نرى بعضنا فيما يستأنف بحول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوته».

ومن هذه المقابلة ذهب الباي مباشرة الى السفينة، واقلعت «الصاعقة» في الساعة التساعة، واطلقت المدافع. ووصلت سفينة الباي الى تونس يوم الجمعة 21 سبتمبر.

وفي كتاب «كوردان» نجد ذكرا موجزا لما فصل فيه الجنرال حسين القول فيما يتعلق بحفل المناورة الحربية «الفنتازيا» التي وقعت يوم 18 سبتمبر قرب الدار المربعة، واعدها الجنرال يوسف، وكذلك حفلات الغذاء والعشاء وخاصة الحفل الراقص. وقد اشار كوردان الى خطاب القاه الامبراطور الفرنسي في آخر المأدبة التي اقامتها بلدية الجزائر، وقد الح فيه على ضرورة بعث الحضارة في الجزائر ووعد المعمرين الفرنسيين باقامة مؤسسات بالعاصمة الجزائرية مثيلة للمؤسسات الفرنسية. ولكن الامبراطور لم يبق في هذه الرحلة الجزائرية الا يومين، اضطر مع زوجته الى مغادرة الجزائر اثر وصول نعي اخت الامبراطورة باكا دي منتيقو Paca de Montijo اليهما، واعدا بالرجوع، ولكنه لم يتمكن منه الا بعد خمس سنوات، في 3 ماي 1865 حيث بقي في الجزائر اكثر من شهر (من 3 ماي الى 7 جوان).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي رحلة الامبراطور الثانية الى الجزائر لم يعد الباي الي زيارته ولكنه ارسل اخاه الامير الطيب باي الى عنابة حيث التقى بنابليون الثالث في اليخت الامبراطوري يوم 6 جوان 1865، وتحادثا طويلا. واستدعاه الامبراطور مع مرافقيه الى مائدة الغداء. وحضر الضيافة مطران تونس الاب هوتر Hutter وقنصل فرنسا العام بتونس دوشان دي بلكور Duchesne De Bellecourt والجنرال رافو Général Rafo المترجم والجنرال سليم والتاجوري طبيب الباي، كما رافق الامير الجنرال حسين وكان اذاك أميرالا ولكنه لم يكتب شيئا هذه المرة.

ويذكر اوكتاف تيسير Octave Teissier مقيد رحلة الامبراطور الثانية ان باي تونس ارسل اخاه الطيب الى الامبراطور لتهنئته وللتعبير عن مشاعره الطيبة

وخاصة اشارته للطف الامبراتريس وظرفها واسئلتها وتعاليقها.

ولا يغيب عنا ان الصادق باي قد وقع بنفسه وبدافع من ليون روش في فخ صعب الخروج منه، واختتم حسين تقريره بالاشارة الى ان الباي بهذه الرحلة وسلوكه فيها قد اثبت ولاء عرشه لفرنسا. وروى لخير الدين قول نابليون الثالث للصادق باي: بلغني انهم لما انتهوا الى مفترق الطرق وقف جلالة الامبراطور ووقف كل من كان معه، وكان هناك اناس عديدون يزدحمون لرؤية حضرته، فنادى القنصل المسيو روش وقال له: "قل لسيادة الباي اني ممنون له للغاية في زيارته هذه، وانها وقعت مني الموقع الحسن، وقل لسيادته ان له مني حبيبا يمكن له ان يعتمد على محبته وليرجع في سلامة الله، ولا تكون هذه خاتمة التلاقي ان شاء الله، بل نرى بعضنا فيما يستؤنف بحوله وقوته".

ونشير في الاخير الى تعليق المرحوم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور على رحلة الصادق باي الى الجزائر وتعيين الجنرال حسين في الرفد المصاحب له فقال:

"ولما انتظمت المجالس الشورية في صفر سنة 1277 كان (حسين) من أعضاء المجلس الاكبر. وفي تلك السنة كان منتخبا لمرافقة المشير في رحلته الى الجزائر للقاء الامبراطور نابليون الثالث، وقد كان مترجمنا في تلك الرحلة لاجادة اللسان الفرنسي وسبق رحلاته الى باريس يعتمده في نظام الاقتبالات ورد الزيارات بالنيابة عنه والترجمة في المحادثات الهامة. وقد حرر في تلخيص تلك الرحلة رسالة بديعة موجهة الى صديقه خير الدين وزير البحر الذي لم يكن من الحاشية المشيرية في تلك الرحلة. ونشرت هذه الرسالة بالرائد التونسي وقد حكى فيها حديثه مع الامبراطورة «اوجيني» وما اثنت به عليه على حسن اتقانه اللغة الفرنسية".

اما الصادق الزمرلي في كتابه «السابقون» فقد اشار الى ان اختيار الباي للجنرال حسين كي يصحبه في الرحلة الى الجزائر لم يكن بمحض الصدفة او

بصورة ارتجالية مفاجئة، وانما لما كان له من جاه واعتبار وخصال ومعرفة كاملة للغة الفرنسية واطلاع على العادات والتقاليد بالغرب حتى ان الامبراطورة "اوجيني" قد مدحته لاتقانه الفرنسية ولسلوكه الانق وسيرته الرائقة التي اظهرها في كل مناسبة (13)

## التعاليق

(1 Edouard Henri Cordin : Napoléon III et l'Algérie, Faculté de Droit, Universite d'Alger, 1937.

Octave Teissier, Paris 1865.

Florian Pharaon: Voyage en Algérie de sa Majesté Napoléon III, Paris, Henri Plon, 1895.

2) انظر الكتاب الاول في التعليق السابق ص. 3.

3) الاتحاف: ج 5، ص. 42.

4) انظر الكتاب الثاني في التعليق رقم 1: ص. 241.

5) نفسه.

6) الاتحاف: ج. 4، ص 96 – 100، وكتابنا: في الاصلاح والحنين الى الاوطان ص. 32 – 36.

7) نفسه: ج5، ص. 42.

8) نفسه: ونتساءل لماذا لم يرد هذا الخبر في تقرير حسين

9) نفسه.

10) نفسه: ص. 41.

11) ارجع الى التقرير المفصل حول هذا الحفل الراقص.

12) تراجم الاعلام لمحمد الفاضل بن عاشور: ص. 38. ونشير الى انه قد تسرب خطأ في هذا المرجع وقع اصلاحه بتصويب وهو اقحام الناشر للاسم محمد بين كلمتي الجنرال حسين اذ لم يعرف باسم آخر. ويكنيه احمد ابن ابي الضياف بابي محمد.

13) السابقون (بالفرنسية): ص 35. وصدرت له ترجمة الى العربية بقلم الاستاذ حمادي الساحلي عن دار الغرب الاسلامي ببيروت. وجاء في تقرير حسين ان الامبراطورة سألت حسينا هل يعرف الفرنسية. فاجاب بان معرفته لها ضعيفة كافيةلمخاطبتها. فقالت: كيف يكون ذلك واراك تنطق مثلنا. وقد فهم الجنرال حسين كلام الامبراطورة وترجمه الى الصادق باي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# تساؤلات حول واقع الدولة العربية

بقلم : **محمد بالراشد**

لعل من بين المسائل التي تثير باستمرار اشكاليات في الفكر العربي المعاصر مسألة الدولة، خاصة في الفترة الاخيرة التي اتسمت بالتكتلات، والتنافس بين هذه التكتلات... وهو الامر الذي قد يثير أسئلة متعددة حول واقع الدولة العربية التي تسمى حسب البعض الدولة الوطنية ويسميها البعض الاخر الدولة القطرية، ولعل السمة الوحيدة او القاسم المشترك للدولة الحالية في الوطن العربي هو أنها جاءت بعد فترة الاستعمار وما ألحقه من شوائب بالبنية الذهنية للانسان العربي ولكن الى جانب ذلك كان على هذه الدولة تحقيق هدفين رئيسيين يخولان لها كسب الولاء والشرعية وهما :

- تجاوز ترسبات الفترة الاستعمارية وما نتج عنها من تدهور للبنى الذهنية والمادية للانسان العربي.

- اعادة التاج المفقود ، وبالتالي اعادة الامة الى صدارة مراكز الحضارة العالمية المتألقة.

ومما يلفت الانتباه، هو تمفصل الهدفين، حيث ظل الاول مدفوعا بالثاني، وبالتالي غدا أسيرا له وهذا التداخل سيثمر في الاخير دولة القرار فبعد فترة ليست بالوجيزة وجدت الدولة الحديثة ذاتها "دولة اتخاذ القرار"(1) فحسب، مهما كانت طبيعة ذلك القرار بالرغم من ان هذا القرار وفي عديد الحالات والمناسبات لم يكن وليد خطة مدروسة، واضحة المنطلقات والغايات، بحيث يمكن القول بأن هذا القرار لم يكن صادرا عن التفكير الذي هو "وظيفة الدولة الاساسية"(2).

ان مجرد لمحة لواقع الدولة العربية، دولة ما بعد الاستقلال، لتفضي الى القول بان هذه الدولة هي اما ذات شرعية كارزماتية بحيث تسند الى الرجل الاول في هرم الدولة صفات خارقة للعادة فهو القائد الاوحد، وهو الزعيم الملهم وهو المنقذ... الخ. بمعنى ان "السياسة العربية المعاصرة تحتوي على العنصر الشخصي بصورة كبيرة وحيثما تألقت احزاب، فهي تقوم على الولاءات الشخصية وليس على السياسة المجردة غير الشخصية" (3).

واذا لم تكن الدولة مستندة الى شرعية شخصية فانها دولة تقليدية بمعنى تستند الى مرجعية وراثية، فهي من هذا المنطلق لم تتجاوز اطار السلطة المطلقة وبالتالي لا نرى غرابة في بروز اللاشعور السياسي العربي، ذلك اللاشعور المتجذر في القبيلة والغنيمة والعقيدة حسب ما يراه محمد عابد الجابري في كتابه العقل السياسي العربي، ونتيجة لعودة المكبوت، برزت الطائفية بمختلف صورها وأشكالها (الدينية/العرقية/الجهوية...).

هل عادت بنا الدولة العربية الى القرون الوسطى حين كانت أوروبا خاضعة للحاكم المفوض ؟ ذلك الحاكم المرسل من عند الله، فهو احدى نعمه، لا مجال للشك فيه ولا لانتقاده؟ وقد لا تخرج الدولةالتقليدية عن نفس المسار.

الفكر السياسي العربي، ظل سجينا للرؤيتين السابقتين، فغابت عنه "مقولة المجتمع المدني كترابط طوعي" (4) بمعنى ان الدولة لم تعد امتدادا للمجتمع، بل صار المجتمع امتدادا لها، فلم تعد الحرية هي الغاية من قيام الدولة على حد قول سبينوزا بل صارت خدمة مصالح فئات معينة هي المرمى.

ان بروز الطائفية وسيطرة الولاءات العشائرية والجهوية على المواطن العربي جعل الدولة تفقد أحد مكوناتها، ذلك اننا عندما نسلم بأن "الدولة كيان سياسي قانوني، ذو سلطة سياسية معترف بها في رقعة جغرافية محددة على مجموعة بشرية معينة" (5) فان هذه الاخيرة (المجموعة البشرية) باتت فاقدة لمقومات شعب، فهذا الاخير يجب ان يجمع بين مختلف أفراده جملة من المعايير الموضوعية التي يحددها الفيلسوف الالماني فيخته في سلسلة محاضرات له حول الشعب الالماني وهذه المعايير الموضوعية هي العرق، الدين، اللغة، المجال الجغرافي والتاريخ، وهذه المعايير تتوفر في الشعب العربي اذ أن "حوالي 91 ٪ يدينون بالاسلام وحوالي 88٪ هم عرب لغة وثقافة" (6) لكن في مقابل هذه المعايير الموضوعية يفتقد الشعب العربي بعد بروز نزاعات التفرقة، كما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي ارنست رنان بالروح وهذه الروح تتجسد في الرغبة في الحياة المشتركة اي ارادة العيش المشترك :

"Volonté de vivre en commun"

هكذا فقدت الدولة الحديثة في الوطن العربي أحد مكوناتها، اثر سيطرة المكبوت المدعم بضغوط بلدان المركز المصنع سيما وان الوطن العربي ينتمي الى منظومة التخوم... كل هذه العوامل تظافرت لتثمر مأزقا للدولة الحديثة، وهو أمد دفع بالمفكر العربي برهان غليون الى القول بمواجهة الدولة للامة في كتابه " Le malaise : l'Etat contre la Nation : Raed : la de- couverte. dec. 1991 *لم تستطع الدولة اعادة التاج المفقود، ولم تستطع كذلك اللحاق بالبلدان المتقدمة اذ فشلت التجارب التنموية واصبحت رهينة جدلية الانقلاب من الداخل والحرب من الخارج وهي جدلية لعبت دورا هاما في تعثر خطوات الدولة العربية الحديثة، جل الاقطار العربية تعاني من العشائرية، التي وصلت احيانا الى حروب أهلية، وعديد الاقطار مهددة بحروب خارجية، بل حتى بحروب عربية/عربية نتيجة مشاكل حدودية ووضعية الحرب هذه ستنعكس سلبا ذلك ان "الحرب داخلية كانت ام خارجية هي أكثر أعداء الحرية" (7) فطالما الحرب خطر حقيقيا يداهمنا في كل يوم فلابد ان تبقى الدولة كآلة تضحي بحياة الفرد" (8).*

*مثل هذه الوضعية التي باتت عليه دولة ما بعد الاستقلال، تدفعنا الى التساؤل عن سبل تجاول هذه الدولة لمحنتها فتنتقل من الكارزماتية والتقليدية الى العقلانية بمعنى من وضعية*

الحرب الداخلية او الخارجية الى دولة الرفاهة العامة حيث يكون النظام السياسي تداوليا؟.

---

## الإحـــــالات :

(1) -Emile Durkheim : leçons de sociologie , P.U.F 1968 : p 95

(2) - Jean Claude Felloux : Durkheim et le sociolisme, Geneve Droz 1977 : p 11

(3) مونتغمري وات " الفكر السياسي الاسلامي : المفاهيم الاساسية "دار الحداثة بيروت 1981، ترجمة صبحي حديدي ص 162

(4) محمد بالراشد : "نظام الطائفية من الدولة الى القبيلة" عرض لكتاب الاستاذ برهان غليون، مجلة الاتحاف، السنة السابعة عدد 35 جويلية/أوت 1992 ص 17

(5) سعد الدين أبراهيم "المجتمع والدولة في الوطن العربي" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988 ص 41 .

(6) المرجع السابق ص 240/235

(7) برتراند رسل "أسس إعادة البناء الاجتماعي" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987، ترجمة ابراهيم يوسف النجار ص 64

(8) المرجع الساق.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الفلسفة والعلم

الأستاذ : محمود البش

## تمهيد

كيف أمكن لإنتاجين ولّدهما الفكر الانساني وسبق ان اتاح علاقات متعددة بينهما ان ينقطع الحبل الواصل لهما دون ان كفّا عن الحوار اذ ما انفك تاريخ الفلسفة يتابع تساؤلاته ويحددها حول شروط المعرفة العلمية ونشأتها وامكانات اليقين فيها مع ذلك فان الانفصال قد حصل منذ القرن التاسع عشر فما مرد هذا الانفصال ؟ مع التاكيد انه انفصال وليس تعارضا اذ أن بين الفلسفة والعلم علاقة حميمة ومشغوليات متبادلة رغم انها عرفت محاولات هيمنة وتوظيف فاذا كان الامر هكذا فهل نتساءل عما اذا كانت العلاقة بين الفلسفة والعلم تستند الى وحدة ما انطلاقا من مسالة التأسيس المتبادل وانتهاء بمشاغل العصر التي تتصل بمجال الفعل والقيم وحينما تطرح على ارضية التأمل الشامل مسألة القيم والغايات فإن العالم يلتقي بالفيلسوف في مسألة الالتزام بمستقبل الانسانية فتتاح للعلم فرصة التجدد اخلاقيا وروحيا ويلتقي من جديد بالفلسفة حبا للحكمة وانتصارا للعقل فنتكلم عن تحالف جديد بين الانسان العارف والانسان الصانع بين الفلسفة والعلم والتقنية فتجدد علاقة الانسان بالحقيقة لا بوصفها نجاعة وجدوى بل أيضا هي معرفة مرحلة تجمع العلم بالعاطفة والمعرفة بالرغبة على حد رأي نيتشة وذلك ما يو جّه هذه الخطاطة.

### ) العقلانية العلمية المنظور الفلسفي :

لن نضيف جديدا اذا قلنا ان كل علاقة الفلسفة بالعلم كانت علاقة تبرير متبادل وانتهازية من نوع خاص على حد اعتماد «التوسير» فلقد وجدت الفلسفة في العلم المبرر الموضوعي فكان ان إنتظرت ميلاده حتى تظهر لا بوصفها معرفة فقط بل بما هي قول نسقي في الطبيعة والعقل والمجتمع والغايات بل ان ماطبع الفلسفة بمعقولية العلم صبغة التبرير الاجتماعي لخطاب ايديولُ جي يترجم طموحات ومشاريع لطبقة اجتماعية مافي واقع لايهدأ فيه الصراع بين قوى اجتماعية تتدخل فيه الفلسفة من موقع النية الفوقية ماسكة بدّفة التوجيه الايديولوجي أما ما تبرر به مواقفها السياسية وقولها القيمي فهو العلم ولم يشـــذّ خطاب واحـــد عن هذه العـــلاقـــة من «افـــلاطون الى

"هيقل" فالذي حكم خطاب «افلاطون» مثلا موقفه من الرياضيات مع أن أفلاطون لم يكن مبدعا بقدر ما اتخذ من « بيتافور» ذريعة لكي يشن حملة على نظام العلم في عصره ويتهمه بالسفسطائية التي هي معرفة الدهماء والحس المشترك مقيما القطيعة بين الجدل الفلسفي الباحث عن معاني الحق والخير والجمال مقاطعا فيزياء الفيزيائيين وطبعها الحسي : حملة نعرف ان «افلاطون» قد شنها لاحبا في الرياضيات والهندسة بل مبررا للنظام والسطان تحكمه ارستقراطية مسيسة هي فوق الدهماء موضعا وعلما وليس «ارسطو» عن ذلك ببعيد فشأن ارجاع الاعتبار للفيزياء لم يكن لغاية سوى اختراع نظرية في الحكمة في الحركة تجد اساسها في محرك ميتافيزيقي هو علة اولى ومنظم للغايات ومحدد للمبادئ محرك لايتحرك نتدبره حين نعرض عن طلب الفيزياء مخصوصة فتعبر منها الى الميتافيزيقا والقيم وفي أعلاها قيمة الخير الاسمى علة الغاية أولى بأن تتبع ودائما النخبة هي القدرة على ذلك.

ومن «ارسطو» الى «ديكارت» لم تتغير العلاقة فالرجل المهموم بالميتافيزيقا لم يستطع ان يؤسس العلم دونها فالفيزياء الحديثة تنظر الى الطبيعة نظرة طبيعية وهي الفرصة التي انتظرها ديكارت لكي يشن حملة على التجريبيين ويتهم منهجهم بالقصور العلمي بما ان العلم حدس رياضي لواقعة ميكانيكية جعلها الرب الطيب على هذه الشاكلة وأودع خصائصها العقل في فكرتي الامتداد والحركة فكان ان قسّم «ديكارت» الجوهر الى نوعين احدهماالمادة منفصلة ممتدة وثانيهما الروح العاقلة التي بطبعها التمرد على آلية الطبيعة والا تنتصاب خارجها وهي بالإرادة للقوة تمكن الانسان من السيطرة على الطبيعة وامتلاك قوانينها ولعل «سارتر» قد وجد في هذه الابستمولوجيا ايديولوجيا مختلفة تجعل من مقولة الحرية أساسا لانطولوجيا العقل المفكر الموزع توزيعا عادلا بين الناس بما تبحث عنه برجوازية صاعدة ذات افق كوني اما النقدية فهي لم تخرج من نظريات المعرفة الفلسفية فكان على «كانط» ان يخلق فرصة للفصل بين العلم وعالمه والميتافيزيقا ولئن لم يدّع «كانط» في العلم فلسفة بما ان فيزياء "نيوتن" قد جذرت قطيعة العلم الفيزيائي مع التأسيس الميتافيزيقي ، لكن نفس علم "نيوتن" يقطع بضرورة ميكانيكية تجعل من الحتمية بداهة فيزياء، وهنا سيجد ظالته فاذا كانت العلوم التركيبية تبني القانون في العقل العلمي علي الحتمية فلا شك ان فكرة الحرية فكرة ترنسندنتالية قبلية هنا تتوضع نوايا «كانط» ففصل العلم عن الميتافيزيقا هو استبعاد للميتافيزيقا عن البرهان حتى يجعل منها مؤسسا للاخلاق مادامت الحرية تؤسس الواجب الخلقي وكان معنى ذلك اخلاص «كانط» لما يملأ ضميره من شعور اخلاقي واحتماءه بسماء

مرصعة بالنجوم فوق راسه.

فكيف يمكن للعلم ان يتقدم في حقل هكذا طبعه مليئ بالقيم والايديولوجيات من هنا كان لابد من قيام الابستمولوجيا فلسفة تفصل كما تدعي بين العلمي في العلوم والايديولوجي في الايديولوجيات اذ لايستطيع الفلاسفة ان يبنوا العلوم وان بنوها جاؤوا بها متمركزة على غايات خارجها أولا يعني هذا ان العلم ذاتي التولد فالنهضات العلمية ترافقت باستمرار مع انبعاث فلسفات كبرى تبقى ضمانا للتأسيس والنقد وتسليح العلم بالبرهان والمنهاج وحيث تمارس مراقبة لمساره الاجتماعي التاريخي والانساني ولعل ذلك معناه أن الوضعية والعلمانية والابستمولوجيا وان كانت فلسفات مخلصة للعلم حاسمة في الدفاع على خصائصه لاتمثل الاطار الامثل للعلاقة بين الفسفة والعلم اذ غالبا ما تحمست للدفاع عن العلوم فاحتجبت بها وحجبتها عن الاهتمام بغيرها وجعلت من العلم مؤسسا للعقلانية لامتأسسا بها وكأن كل عقلانية اما ان تكون للعلم أولا تكون. ولئن اعاق المسار الفلسفي العلوم الا انه اعطى للعلمية مسوغا اجتماعيا ولم ينظر اليها مخصوصة وكان للعلم حينما اعلن استقلاله عن الميتافيزيقا والقيم ان حول الحياه الى مجرد قوانين وبنى وخرزمات واضعا بينه وبين عالم القيم حاجزا متناسيا أن في الانسان وحدة تلزم بعده المعرفي بأبعاده القيمية والجمالية والسياسية فاذا بنا نطلب للعلم فلسفة تجمع من جديد بين عالم العلماء وعالم القيم على حد رأى «بياجي» فنرأب الصدع بين العلم والقيم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## 2) من نجاعة العلم الى مسوّغات القيم :

لقد نبه «هوسرل» منذ بداية الانفصال بين العلوم الحديثة والفلسفة الى ان هناك ازمة بدأت في الظهور بين عالم العلم وعالم الحياة خصوصا وان العلم بمفرده لا يستطيع بمفرده لايستطيع بمفرده أن يمكن الانسانية من تامل عمقها الانطولوجي وبناء وعي بالعنى والدلالة من وجودها- فالعلوميون قد اغفلوا على حد راى «هوسرل» - التمازج بين الموقف العلمي والموقف من الحياة وهو تمازج يتطلبه ترشيد العلم وأنسنة اسسه وهو ما أعجب «هوسرل» في ديكارت فأب التأملات الميتافيزيقية. كان فيزيائيا بارعا ورياضيا فذا لكن لم يمنعه ذلك من ان يكون ميتفيزقيا ورجل اخلاق فالاخلاص للعلم لايعني السكوت عن الحياة واستخلاص مستويات الوجود والموقف من القضايا الكبرى للعصر. وبالتالي فان علاقة الانسان بالعلم يجب ان تكون علاقة أنطولوجية تصل الذات بعمق الوجود والموجود ، فإن الانسان بمعاشه يعطي العالم الصورة التي هو عليها

قبل كل معرفة علمية وبالتالي فان الفلسفة توجد بالقبل عن كل علم انها توجد كما يقول «ياسبرس» حينما يوجد اناس مستيقظون.

يعني ذلك أن الانسان ليس في حاجة الى يقين العلم فقط بل في حاجة الى النقد الفلسفي لابعاد وعيه ولكي يوزع بين ما يجب ان يكون للعلم وما يجب ان يكون للحياة في عصر نشهد فيه انفجارا معرفيا وتقنيا اذ كما لاحظ «برقسون» ان هناك تضخم للجسد الانساني على حساب الروح تضخم للميكانيكا على حساب التصوف فهو جسد افرط في البدانة حتى بقيت الروح فيه ضالة لاتستطيع ان تملاه هكذا تحدث «برقسون» مفسرا الفجوة بين العلم والقيم. فالذي تحتاجه البشرية المعاصرة وفرة من الطاقة الاخلاقية حتى تنهض من انحنائها وتنظر الى السماء فان كان التأسيس الاخلاقي ميتافيزيقا فاي علم بامكانه ان ينهض بهذا الدور ؟ ذلك ما جعل «بول فاليرى» يدعو الى ظهور فولتار جديد يعلن حكمته الرائعة «انهم لا يفقهون ما يصنعون في عالم الارهاب والحروب» الارض فيه كوكب للجريمة القذرة. فالتفلسف حسب «هيدقير» نشدان للحظة الكينونة الغائبة تحت ركام التقنية المعاصرة وانواع الاغترابات انه نشدان للحرية وللحياة الحرة في الجليد رالجبال العالية كما قال « نيتشه» فأن نطلب من الفلسفة أن تكون ناجعة معناه ان تصبح قيمة الفلسفة من : نفس قيمة الاستحمام او استعمال الدراجة وهو ما يشكل اغتراب الانسان المعاصر اذ ان استبعاد الغايات والاخلاق والجمال تجمع الانسان في بعد واحد وتعمق القطيعة بين «اللوقوس و الايروس» بين المعرفة والحياة بين العقل والرغبة اذ أن القول بحياد العلم معناه السكوت عن العالم الذي نحيا فيه ويصبح العلم كما قال «جاك مونود» زهدا في التفسير بل قد تجمد العصر الذي وجدت فيه الاحيائية لانها انست العلاقة بين الانسان والعلم وهي علاقة أصبحت باردة قاسية لاتقترح أي تفسير مادام العلم قد اعطى كل التفسيرات» مما تقدم بامكاننا أن ندعو إلى دعا اليه «ستنجرس و برغوجين» الى قيام تحالف جديد بين العلم والفلسفة شبيه بما دعا اليه نيتشة في العلم المرح حيث يعطي للعرفان أهميته دون أهمال شأن الحياة والغرائز فان لم نستجب الى ذلك فان المآل انهيار في الوحشية والبربرية من جديد ومن يضمن حينها ان تكون لنا القدرة على النهوض من جديد ؟ وألا نصرخ حينها صرخة بطل رواية عالم 87 لجروج أرويل «اننا لا نريد ان تتكرر هذه المأساة..

## المراجع


درس الابستمولوجيا : عبد السلام عبد العالي

الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية : التوسر

العلم المرح : نيتشه

منبعا الاخلاق والدين : برقسون

الانسان ذو البعد الواحد : هـ ماركيوز

مدخل الي الميتافيزيقا : هيدقير

# حول لقبَـيْ باشا وعزّونـــة

## محاولة ردّ على السيد: محمد بن الأصفر المحامي

□ جلول عزّونة

### 1 ـ تقديـــــم:

إنّ جديّـة السيد محمـد بن الاصفر المحامي لا تحتاج إلى دليل، وهو الـذي ما انفكّ يتحفنا بين الحين والآخر بـدراسات جديّـة سواء على صفحـات مجلّـة الإتحاف أو جريدة «الصباح» أو غيرها(1) وبالخصوص تلك السلسلة من المقالات حول الأونوماستيكا العثمانية (2).

وقد كـان لنا معه في الماضي التقـاء فكريّ آخـر إثر نشرنا دراسـة حول النهضة العربيّـة في جريدة «الصباح»، فتصـدّى لنـا معقّـبًا وموضّـحًا ومتسـائلاً(3). واليـوم يشرّفنـا مجدّدًا بالتعرّض لما أوردنـاه في كتابنا: «منزل تميم عاصمـة الدخلة»(4) حـول لقبي باشا وعزّونة فيـدقّق ما قلنـاه وينقده ويصلح مـا وقعنا فيـه من أخطـاء، ونحن نغتنم هذه الفـرصة لتقـديم التوضيحات التاليّـة:

(أ) ـ الشكـر الجزيل لمحمّـد بن الاصفـر لغيرته العلميّـة وبحثه الـدؤوب واجتهاده الهاوي المبشّـر بكلّ خير،

(ب) ـ إنّ ما قدّمناه من محاولة لتفسير أصل العـائلات بمنزل تميم ـ وكان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات وبالتحديد في سنتي 1978 و1979 ـ ومحاولة تفسير أصل الألقاب، مجرّد اجتهاد لهَـاوِي مثلكم، لم يكن يملك في ذلك التاريخ من المراجع والمصادر إلاّ النزر اليسير، وبالخصوص لم تكُن لـه من المؤهّلات العلميّـة في هـذا الميدان البكـر إلاّ بعض عقـود زواج وبعض الروايـات

---

(1) انظر مثلاً مقـاله بالصباح: حول بيـان الجمعيّـة التونسية للدراسـات الأندلسية: «المزالق الأونوماستيكيّـة» (جانفي 1992) وفيه تعرّض لـلقبيْ: كشك وشلبي ـ وبالإتحاف عدد 34 حول: «الأونوماستيكا والمهن اليدويّـة في تونس» (جوان 1992).

(2) «الإتحاف» عدد 36 ـ أكتوبر 1992 وعدد 39 ـ أفريل 1993 من ص 16 الى ص 30.

(3) «الصباح» الخميس 31 ماي 1979 ص 12 و 13 ـ والصباح 24 ماي 1979 ص 12 و 13.

(4) نشر «الأخلاء» عدد 49 ـ تونس ـ سنة 1984 ـ 272 صفحة.

الشفويّـة وبعض المراجع التـاريخية العامّـة المعـروفة والمتـداولة وبعض الحَـدَس الـذي أصاب احيانًـا وأخطأ مرّات(5).

لكلّ هذا، سُـررْتُ بتعديلاتك ونقدك، ورحّـبت بها لأنّـها تساهم في إظهار الحقيقة المعرفيّـة لا غير، وهو هدفنا المشترك.

## 2ـ حول لقب الباشا أو باشا:

لقد بيّـن محمـد بن الأصفر أصل ألقاب التشريفات والمراتب العسكريّـة وتأثيرها على اللقب العائلي التونسي.

وبيّـن كذلك أنّ لقب بـاشا إمّـا أن يكون قد جاءنا من المغـرب، أو أنّـه تحريف لباشي Basci الكلمـة التركيّـة والتي تعني حرفيّـا «قائد ورئيس العمّـال ورئيس المجموعـة وبائع الخرفـان والضـان..» وأظهر أنّ لقب عـائلة بـاشا بمنـزل تميم لا يمكن أن يكون لعـائلة تركيّـة الأصل، خصوصًـا وأنّ أبرز من ظهـر في تلك العائلـة، ألا وهو اسماعيل التميمي، شيخ الإفتـاء بالإيـالة التونسيّـة أوائل القرن التـاسع عشر، كان مالكيًـا وليس حنفيًـا مثل الأتـراك... إلى غير ذلك من الأدلّـة والحجج الدامغة.

وقد رجعت إلى حفيد اسماعيل التميمي، الشيخ محمـد سلامة باشا عمدة منـزل تميم سابقًا، أمـدّ الله في أنفاسـه. فأكّـد لي أنّ أصل عـائلتهم من المغرب الأقصـى حسبما وصله من روايـات شفويّـة منقولة عـن أجداده. أتوا من الساقيّـة الحمراء. وكان أحد جـدوده «خليفة» بمنزل تميم. وهو نفس الاستنتاج الذي توصّـل إليه محمد بن الأصفر، معتمدًا على وجود لقب بـاشا بالمغرب الأقصى وبـالخصـوص على مـا أورده المرحـوم عثمان الكعّـاك في كتـابـه: **مراكز الثقـافة في المغرب**(6) حين قال: «يكون المؤدّب في تونس مغربيّـا في الغالب...».

ونحن نعلم أنّ المعاوين الذين أُطْـلِـقَ اسمهم على دخلة المعاوين (ولاية نابل حاليا) جاؤوا من المغرب الأقصى وكذلك سيّـدي محمدَ الفيلالي، مؤسّـس مدينة منزل تميم مع عائلة حباشة، الذي قدم المنطقة من تافيلالت، على تخوم الصحراء بالمغرب الأقصى.

وما ذهب إليه محمد بن الأصفر هو نفس ما ذهب إليه الدكتور الهادي حمّـودة الغزّي في بحث مرقـون لم ينشره بعد تحتَ عنـوان: **اسماعيل التميمي ــ جدول بـأهمّ الأحداث السياسيّـة**

---

(5) علم أسماء الأشخاص بمنطقـة الوطن القبلي، عنوان محاضرة ألقاها الأستـاذ توفيق البشروش بنابل أواخر شهر مارس 1993، وبيّـن فيهـا بالخصوص أنّ هذا العلم جديد علينا في تونس وفي الـوطن العربي رغم ما نجده في التراث حول علم «الأنساب» لأنّ العلم الجديد ينتهج طرقًا خاصّـة به ومقاربـات لها مواصفاتها الدقيقة ومنهجًا له قواعده. وقد أحَـلْـتُ الأستاذ البشروش إلى سلسلة مقالات محمد بن الأصفر.

(6) جامعة الدول العربيّـة ومعهد الدراسات العربيّـة العاليّـة ـ المطبعة الثماليّـة(!) عابدين ـ 1957ـ صفحة 25.

والإجتماعيّـة في عصر اسماعيل التميمي، وعندنا نسخة منه.

ويوردد. الهادي الغزّي في ترجمة الشيخ ابن ملوكة كما نجدها عند ابن أبي الضياف(7) خبر الخصومة بين اسماعيل التميمي والشيخ ابن ملوكة وكيف قال هذا الاخير للاوّل:

...«وأتيتك لتعلم انّـي سامحتك في الدنيا والآخرة، فقل ما شئتَ وأنت في حلّ منّـي، لانّـك من الاشراف ولا أحبّ انّ الله يعاقب شريفًا من أجلي.»

ويقول ابن أبي الضياف في مكان آخر: «وُلِـدَ هذا الفاضل بمنزل تميم وبيته من أشرافها.»(8)

ويستنتج الدكتور الغزّي ما يلي:

«وصار الشيخ اسماعيل (التميمي) بعـد ذلك يعبّـر عنه بالـوليّ في لسان الشرع. وإذا لم تكن عائلة أبي الفداء تركيّـة فمن أين إذا جاءها لقب الباشا؟ من المرجّـح عندنا انّ هذا اللقب أدخل على العائلة تشبيهًا لانّ هـذا اللقب في تلك الفترة كان مـوقـوفًا على الاسرة الحاكمـة ولا نعلم اتراكًـا ينزلون خارج العاصمـة مستوطنين وهم من الباشوات... والعلماء يعدّون اسماعيل التميمي من آل البيت ومن ارستقراطيّـة الأسر التميميّـة وانّـه لم يكن بحال من الاحوال من أصل تركي.»

وقـد وجدنـا الشيخ ابراهيم الـرياحي يمـدح أستاذه اسماعيل التميمي، كبير أهل الشـورى بقصيدة إحتوت على 23 بيت من الشعر، على البحر الوافر ومنها يقول:

«كانّ الشيخ إسماعيـل لـــــا ... تلألأ علمُـه يـوم الختـــام
...و[يمّـمه] التمام بـدر كـــلام ... فلُـقِّـبَ بالتميميّ الإمـــام
وشرّفه عـــلا نسبًا ونسْـــكًا ... فكان من الكمال على تمـــام
...وأودع عنده عهـدًا فـــإنّـي ... أرى الأشراف عهْـــدًا للذمـــام
ولازالت بـــه الأشراف تسـمو ... فإنّ بقـاءه سبَـبُ الـــدّوَامِ.» (9)

وإن كنتُ متّفقًا مع إبعاد الإنتساب للأتراك لعائلـة باشا بمنزل تميم، فإنّـي لا أوافق ما ذهب إليه الـدكتور الغزّي مـن كون أصل اسماعيل التميمي من الصقالبـة وبالتـالي من المعاوين لانّ لا شجرة المعاوين الموجودة إلى الآن ولا الروايات الشفويّـة المتواترة سواء لدى أهالي منزل تميم أو أهالي قريـة الصقالبة تنسب ولو من بعيـد عائلة باشـا إلى المعاوين وإذن فإنّ الشرف المنسوب إلى عائلة باشـا إنّـما هو شرف مغاير لشرف المعاوين ولعلّـه شرف من جاء من المغرب الأقصى مثل

---

(7) «الإتحاف»:: جزء 8ـ ص 10ـ (ابن أبي الضياف).
(8) «الإتحاف»: جزء 8ـ ص 11 (ابن أبي الضياف).
(9) ديوان الشيخ ابراهيم الرياحي، تحقيق محمد اليعـلاوي وحمّـادي الساحلي دار الغرب الإسـلامي ـ بيروت 1990 ص 104و105ـ وانظر ص 73و 74 رثاءه للتميمي، ورثاء خاله العدْل عبد الله التميمي ـ ص 156و157.

شرف سيّدي مَحمد الفيلالي؟!...

## 3ـ حول لقب عزّونه

لن أضيف شيئا كثيرًا لما أوْرَدْتُه حول لقب عزّونه بكتابي المذكور: **منزل تميم عاصمة الدخلة** (من ص 114 إلى ص 116).

ولكنّي أريد أن أشيد بالإحالة التي أوردها محمد بن الأصغر (ص 21 من عدد 39 من مجلّة «الإتحاف») حيث يقول:

«ففي منزل تميم يوجد لقب عائلي هو بوعزين، ولنفس هذا اللقب أصل في المغرب الأقصى. وإنّ جلول عزّونة نفسه لم يهتد إلى ضبط أصل لقب عائلته عزّونه. والحال أنّ للقب أصلاً في المغرب الأقصى وهو اسم المرحوم عزّونه روجه أبي السداد اسحاق الغازي الشيخ، تلميذ الدبّاغ(10)، ونجد إلى اليوم اسم عائلة عزّون بعين حدود وبمكناس بالمغرب الأقصى. [وعزّونه بالمحلّة الكبرى بمصر.]

وقد علمت من بعض الأصدقاء الموريتانيين ان هناك في موريتانيا قبيلة كاملة معروفة تسمّى قبيلة عزّونه. وحسب بعض الروايات الشفويّة في منزل تميم، هناك من يرجع أصل العائلة إلى المغرب الأقصى بعد محطّة بالقيروان وربّما جربة؟ وهو ما يتفق مبدئيًا مع ما ذهب إليه محمد بن الأصغر. ويبدو أن أصل بن عزّونه أربعة إخوة أتوا من الغرب الجيّاني، استقرّ أحدهم بالجزائر (باب عزّون) وأحدهم بالجيّارة (باب الجزيرة بتونس) وثالثهم بدار شعبان (بنّاء) والرابع بمنزل تميم وذهب فرع منهم لحلق الوادي سنة 1927.

وقد عثرت أخيرًا على ترجمة موجزة لأحد علماء بجايه وهو المعروف بابن عزّون(11) وها أنا أوردها:

«عمر بن عزّون السلمي، الشيخ الجليل الفقيه، الفاضل، المحصّل ـ أبو علي ـــ رحل إلى بلاد المشرق وقرأ بها ومهر ـــ ووصل إلى بجاية وظهر واشتهر وقضي بها وكان المشاور والمفتي بها. وعليه وعلى الفقيه أبي عبد الله الأربس كان يتوقّف حال القاضي أبي محمّد بن عبد الله بن حجّاج.»

وقد ورد التعريف بابن عزّون كذلك في كتاب: **«عنوان الدراية في من عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية**(12) الخ...

---

(10) عبد العزيز بن عبد الله: **«الموسوعة المغربية للاعلام البشريّة والحضاريّة** مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلاميّة. جزء 3ـ صفحة 36: 1978ـ 1396هـ ـ مع «ملحق عدد 1 عن معلمة الصحراء.

(11) كتاب **«توشيح الديباج وحلية الابتهاج»** لبدر الدين القرافي المتوفّى سنة 946هـ ـ 1533م ـ تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي ـ دار الغرب الإسلامي. ط 1 ـ 1983 ص 157 ـ ترجمة عدد 157 أيضا.

(12) تحقيق رابح بونار ـ طبع الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1971.

## 4ـ خاتمـــــــة:

ولا نـريد الإطـالة في ردّنـا هذا، بل سنكتفي بإيـراد مـا قالـه محمد بن الأصغـر في جريـدة «الصباح» (1992).

«وفي الحقيقة فإنّ ميدان الألقاب العائليّـة (الأونوماستيكا) محفوف بالمخاطر وبالإنزلاقات وقد لاحظ ذلك الأستاذ زيزيتـانو المدرّس بجامعة بالرمو (إيطاليّـة) مـا تعريبه: إنّ ميدان الأونو ماستيكا جذّاب وهو يخفي لنا عدّة مفاجآت، فلابدّ من الإحتياط من الإشتقاقات المخطئة (الزائفة) التي كان العالم العربي حسّـاسًا لها على الدوام.»

نعم، لابدّ من الحيطـة ونحن نبحث عن جذور الاسماء وتقلّـباتها جغرافيّـا وتاريخيّـا، لأنّ لكلّ اسم عـائلة طـريقها (route) المتردّدة دومًـا مـا بين منـازل الجيـوش ومـزارات المرابطين والأولياء ومـا بين الجبال والأوديّـة والصحاري حسب تقلّـبات الأحداث والـرجال والطقس. فلنبحث ونتعمّـق ونقدّم الإفتراضات تلو الإفتراضات ولكن بدون حسم لأنّـه قد لا تكون نتيجته إلاّ الإنزلاق في الغلط...

## 5ـ بعض المصادر والمراجع التكميلية:

### أ) حول الأونوماستيكا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● محمد التونسي: ـ الإيماء إلى علم الأسماء (فرغ منه في المحرّم سنة 880هـ).
ـ الهويّـة في ذيل كتاب الإيماء.
ـ تيسير المطالب لكلّ طالب
في الأسماء والحروف (13)

● د. ابراهيم السامرائي: **الأعلام العربيّـة، بحث في أسماء الناس.** دار الحداثة ـ بيروت ـ لبنان ط 1ـ 1990ـ 246 صفحة.

● د. محمد جاسم حمادي المشهداني: **الأنساب العربيّـة ودورها في تدوين تاريخ الأمّـة** ـ هيئة كتابة التاريخ ـ سلسلة الموسوعة التاريخية الميسّـرة ـ دار الشؤون الثقافية العامّـة ـ بغداد ـ 1989ـ 114 صفحة.

● أحمد عبيـدلي: **الإمام عـزّان بن قيس** (1868 ـ 1871) (عُـمَـان) جـوانب من التاريخ العربي الإسلامي في ظلّ الهيمنة الأوروبية ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ ط 2ـ 1984ـ 181 صفحة.

---

(13) كان حيًـا سنة 1475 م. وهـو محمد بن محمد بن يعقوب الكوني (الكرجي)؟ التونسي، أبو عبـد الله ـ انظر عنه: هديّة العارفين للبغدادي. وحاجّـي خليفة ص 215. وعمر رضـا كحّـالة: معجم المؤلفين ج 11و12 ص 311 وفهرس مخطوطات الظاهريّـة...

● محمد بن اسماعيل: مقال: «من قضايا أسماء الأعلام عندنا»: «الملحق الثقافي» لجريدة «الحريّة»ـ 8أفريل 1993 ص 2.

**ب) حول لقب عزّونه وعزّون...**

● الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ـ توفّي سنة 310هـ) **تاريخ الرسل والملوك** ـ طبعة مكتبة خيّاط ـ بيروت ـ 1965.

انظر القسم الثالث: مجلد 12ـ ص 1331 وما بعدها. وص 1504 وص 1681.

● عبد الرحمان بن خلدون: **تاريخ**: المجلّد السادس ـ ص 250 ـ وبالخصوص صفحة 493 عن الثائر ابن عزّون. وص 486 وما بعدها.

وفي المجلد السابع: **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربًا**، ص 548 ـ الخبر عن أحد قوّاد أحد سلاطين بني الأحمر واسمه ابن عزّون...

● د. جودت مدلج: **الحبّ في الأندلس**ـ دار لسان العرب ـ بيروت 1985، ص 252 (خبر عن عزّون ابن ابن الحاج صاحب قرطبة).

● صالح باجيّة: **الإباضيّة بالجريد** ـ طبع دار بوسلامة ص 203 وفيه خبر عن بيّاضة بن عزّون (من أهالي جربة).

● الصادق بن مرزوق: **الأباضيّة والغلوّ... والتعصّب** (مقال: «الصباح» الأحد 10 أفريل 1977 ص 9).

● علي بن يحيى معمّر: **الإباضيّة في موكب التاريخ** ـ الحلقة الثالثة، **الإباضيّة في تونس** ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط 1ـ 1966 ص 131 (وفي ذلك خبر عن بياضة بن عزّون)...

● قرية «عزّون» وقرية «عزّون عتمة» بفلسطين المحتلّة (الضفّة الغربية) حيث دارت معركة كبيرة بين الإنكليز والفلسطينيين في 26 جويليّة 1936، وحيث تتواصل الانتفاضة: فيفري 1989. الخ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معالم وأعلام:

# مقام سيدي محمد المغراوي نمـــــــوذجا

□ زهير بن يوسف (باحث)

يباشر المعهـد القومي لـلآثار والفنون أعمال تهيئـة وصيانة وتـرميم بواحـد من أهم المعالم التاريخية بمدينة باجة ألا وهو مقام سيدي محمد المغراوي. ونظرا لما يتمتع به هذا المعلم من قيمة مميزة في الذاكـرة الثقافية للمجموعة الـوطنية فقد ارتأينا استكمالا لمتطلبات المحـافظة الفنية على هذا الشاهد الحيّ على أصالة هذه الربوع وعراقتها الفكرية تسليط بعض الأضواء العلمية عليه.

**1ـ الزوايا: فضاءات ثقافية:**

تتنزل أعمال صيانة مثل هذه المعالم في إطـار تجديد وظائفها الثقافية ولاسيما تفجير الصراع بين الثقافـة والخرافة وإعادة الاعتبار للـرموز العلمية الوطنيـة والمحلية ممن ارتبطت أسماؤهم بهذه التكايا فغلب المقدس على الدنيوي في شخصياتهم واختـزلت هوياتهم الثقافية، بمرور الزمن وتغلغل الفكر الاسطـوري، الى أبعد حدود الاختزال لتنحصر في المفارق وهكـذا يتحوّل المثقف الى وليّ صالح والعـالم الى قدّيس لا علاقـة له إطلاقـا بالمحايث وهـذا بالتحديـد شأن العالم الجليل والقاضي الفـاضل محمد المغراوي. ولما كان الأمـر على ما بيّـنا فلم يعـد أحق بالرعايـة ولا أجدر بالحماية ولا أدعى لنفض غبار النسيان من هؤلاء الأعلام ومقاماتهم.

**2ـ المعلم وأعلامـــــه:**

ينتصب هذا المعلم بسُـــرّة المدينة العتيقة وتحديدا شرقي الربـض الجوفي المعروف بربط عين الشمس على مرمى حجـر من «جامع مـراد باي الحنفي» وتعلـو المبنى قبتان: صغـرى تقوم على ضريح الوليّ أو من اعتبر كذلك وأخـرى مهيبة وضخمة تؤكد خاصيـاتهما المعمارية التمييزية أن المقام برمته، وقـد شُـيِّـدَ بأحجار مدينة پـاڤا الرومانية وأعمدتها بتيجانها وقـواعدها، يعود الى العهد المرادي والنصف الثاني من القـرن السابع عشر بالتدقيق. وتقطع بذلك بطاقـة هوية العالم المؤسس لهذه التكية الشيخ محمد المغراوي بن جمال الدين الذي كان حيّـا عام 1706 وينحدر من آل المغراوي ذوي الأصول البربرية وهم عائلة بـاجية تنتمي الى الارستقراطية الدينية المحلية وقد كـان لها حضور علمي متميـز بما أنجبته على امتداد قـرنين من أعلام الفُـقَـــهَـاء وثـــقَـات العدول وكبـار القضاة وجلّـة الأسـاتذة ورموز النشـاط الفكري محليا ومـركزيا كـَانَ أبرزهمَ

صالح المغراوي قاضي المحلة بباردو ومحمد المغراوي قاضي باجة ومسعود المغراوي عميد أساتذة المدرسة الباشية بالعاصمة. وليس أدلّ على القيمة العلمية لهؤلاء الاعلام من العناية الخاصة التي أولتها التآليف التاريخية وكتب التراجم والطبقات ولاسيما «ذَيْل بشائر أهل الايمان» لحسين خوجة و«الحلل السندسية» للوزير السراج و«المشرع الملكي» لمحمد الصغير بن يوسف و«معجم المؤلفين التونسيين» لمحمد محفوظ فضلا عمّا ارتسخ في الذاكرة الثقافية الشعبية من أخبارهم مما نجد له أثرا واضحا في الشعر الصوفي فقد جاء في بعض السفائن نصّ مدحي للشاعر محمد الإمام (ت 1832):

بباجة قوم خيّرون كرام ... عليهم من المولى رضى وسلام
أبو الحسن السامي علي الصمادحي ... له رفعة بين الورى واحترام
ومنهم ذو القدر الرفيع محمد ... هو السيد المغراوي غوث همام
ومنهم أبو تفاحة المرتقي الى ... مقامات عزّ بحره لا يعام
كذا علي الهواري ذو المجد والثنا ... وبحر العلم من سره مستدام
وأهل المسيد سادة وأيمّة ... كمالتهم لا يستفيها كلام
والسيد القلشاني فقهاء وحكمة ... له بتفاضل العلوم غرام
ومنهم شيوخ العلم والحلم والتقى ... لهم رفعة والدين بهم يقام
فأولهم الشيخ التواتي ذو الوفاء ... وشيوخ الشيوخ بحره لا يعام
له الغنية مشهورة قد شاع ذكرها ... وصار بها بين الرجال اهتمام
ومنهم جليل القدر حميدة الذي ... هو المفتي كان قدره لا يرام
ومنهم عبد القادر ثم محمد ... هما نجلا المغراوي شيوخ عظام
بهم باجة فازت وأشرف قدرها ... لها بحمايتهم منعة واعتصام(1)

3ـ فمن هم هؤلاء الأعلام؟

كشفت الحفريات المجراة بالمعلم المذكور عن رفات مجموعة من العلماء علاوة على رفات صاحب الوقف وهو الشيخ علي المغراوي ونعني بهؤلاء العلماء كلاً من:

1ـ محمد بن جمال الدين المغراوي (كان حيًا عام 1710).

عالم حقوقي من العدول المبرزين ظهرت مهاراته بشكل خاص في الوقوف على النوازل وعلم التوثيق الأمر الذي دعا أمير البلاد الحسين بن علي الى تكليفه بخطة التدريس بمرتب في بلده واكتسب بصفته أستاذا باعا وشهرة جعلت الروايات عنه تبلغ حَدّ التواتر.

2ـ صالح المغراوي (ت 1730).

قاض وفقيه أصولي من مشاهير علماء عصره وأكثرهم ذيوع صيت. تولىّ التدريس ببلده الى أن انتدبه حسين بن علي لقضاء المحلة بباردو وهي الخطة الشرعية التي ظلّ فيها حتى وفاته. قال فيه الوزير السراج: «تطلع بسراج فكره على أصول الأصول فحصل منها أعظم محصول وجمع

من ثمار فروعها أي مجموع فبلغ منتهى الجموع، أظهرت أحكامه خفايا خباياه وأعلنت تحريراته بإظهار مزاياه.

3ـ مسعود بن محمد المغراوي (كان حيا عام 1756).

فقيه ومنطقـي تولى إدارة المدرسة البـاشية بتـونس والتدريس بها لـه مؤلف في المنطـق هو: «كشف اللثام عن مخدورات الرسالة الأثيرية»، وكان قد اضطلع قبل ذلك بمهام الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بباجة.

4ـ محمد المغراوي (كان حيًـا عام 1857).

قاض ومدرس ومحدث وراوية وباش مُـفتي المالكية في عصره تولى منصب القضاء الشرعي ببلده والتدرس بمدرسة محمد باي الحنفي.

5ـ عبد القادر المغراوي (كان حيا عام 1832)

من جلة علماء عصره وكبار مشـائخه، اشتهر مدرسا وفقيها متبحـرا في المنقول والمعقول من العلوم الدينية.

**4ـ آفاق استغلال مثل** هذه الفضاءات:

لـمّـا كـان جل هذه الفضاءات قد أضحى مهجـورا أو موظفا في أغراض غير ثقـافية كالسكن مثلا أو مـرتبطا بممارسة طقـوس اعتقادية تصـب رأسا في مستنقع تكريس الفكـر الأسطوري وترسيخ عقلية التواكل وإقصاء الفعل الانساني ونبـذ دور العقل البشري فالرأي عندنا أن نجتهد في تجديد الوظـائف الثقافية لهذه المعالم التـاريخية بتحويلها بعـد تصفية أوضاعها العقـارية الى نواد للأطفال أو رياض قرآنية حسب فساحتها وحالتها المعمارية ولـمَ لا متاحف علمية مثلما هو الشأن بالنسبة الى مقام المغراوي، تعرض فيه الذخائر المحلية ولاسيَما رصيدها الثقافي في مختلف مجالات المعـرفة والإبـداع ويستـدعي بالضرورة ضبطـا وإحصاءا وتجميعـا وعـرضا تمهيـدا للتشجيع الفعلي على التحقيق والنشر وهو مـا ينسحب محليا على مـؤلفات علي البـاجي الافريقي (1241ـ 1314) وعمـر القلشاني (1371ـ 1443) وأحمد القلشاني (1373ـ 1459) وعلي القلصادي (1412ـ 1486) ومحمد التواتي (ت س 1621) ومحمد الصغير بن يوسف (1692 ــ 1771) ومحمـد الشافعي بن القـاضي (1692 ــ 1766) ويوسف الامـام (1682 ــ 1731) والعياضي الباجي (1710 ـ 1760) وتنتظر جميعا من ينفض عنها غبـار النسيان ويحررها من رفوف دار الكتب الوطنية.

---

(1) قصيدة مدحية في 77 بيتـا وردت ضمن كُنّـاشٍ به مجموعة من المدائح الصوفية لعبـد القادر الجيلاني ومحمد المنزلي (نتولى الكشف عنها لأول مرة).

# قيمة الرمز في الأدب الوجودي

## "السد... "الملك أوديب" "والشحاذ" نموذجا"

بقلم الاستاذ :**محسن الكريفي**

للابداع الرمزي حضور متميز في التراث الانساني منذ العصور القديمة. وهو اجراء له ظروفه الخاصة وأساليبه المتنوعة وغاياته الحاجية... ولعل تواصله الاجرائي بين الماضي والحاضر مهما اختلفت تقنياته حضورا في الاجناس الابداعية المتنوعة راجع الى كونه بساطا يتسع للمضامين المراد تبليغها عبر مطية شفافة تسمو بالطرق التقريرية الجافة الى مشارف الصلابة الفنية باكسابها بعدا موضوعيا... واذا كان الاستعمال، الفني لهذه النغمة الفنية يعد حاصلا فرض ذاته قوة وفعلا فان الناظر فيها يقف امام صعوبة كامنة في اتساع حقلها الدلالي. اتساعا يصل الى التعمية لاتساع المجالات التي تسبح في يمها... الرمز مجرى استقاه المبدعون فطرة واكتسابا... تجلياته وأدواره يتلمسها من عرف كنه اجنية الرسالة والقدرة على الغوص في غور تشكيلاتها... وكثيرا ما عد الرمز مربط التميز لانه مزج بين ثنائيات تشكل الانزياح مثل التجلي والتخفي، الوضوح والغموض صوت المبدع وصوت الرمز ونبرة الماضي والحاضر.. ان الواقع اصبح معرى كما يقول عبد الوهاب البياتي وهو ما يدعو الى احداث "اشياء صلبة"(1) تخلخل هذا العراء المجوج وتعيد لهذا الفرع مطايا ترجعه الى اجل جمالياته وتكسبه حصانة خاصة... الرمز درجات وابسط مظاهره اللغة لان الدليل اللغوي توليف بين دال ومدلول يتصوره الذهن. هذا المظهر يتدرج الى التعقيد اذا وصل الحد الى اختيار أقنعة يستدعيها صاحب الرسالة ليقولها مسائل تشغل عوالمه الذاتية والموضوعية... هنا يتبين ان الرمز آلة سحرية طيعة بحسب القدرة على التحكم فيها قادرة على تحويل الواقع المهتوك الستر الى عالم جمالي شعري يلتقي فيه الانسان

---

*(1) انظر الحوار الذي اجراه معه فخري صالح بجريدة القدس العربي الصادرة يوم 4 ديسمبر 1992 ص 6.*

مع دخائل ذاته وبوادر انبثاقه من سلوكيات انفاعية وتكيف مع السائد لاجتراره توقفا وتثبتا ومعرفة قوامها السؤال. وسنسعى في هذه القراءة الى تتبع انواع الرمز ومقاربة فهمه بالنظر فيما يحكم تشكيلاته من وصال وانفصال لنعرج على تتبع اهم الرموز المستعملة في الادب الوجودي من خلال مسرحيتي الملك أوديب لتوفيق الحكيم والسد للمسعدي ورواية الشحاذ لمحفوظ ونستوفي هذا المبحث باستقراء هذه الظاهرة وما أضافته الى هذه الرسائل من قيمة فنية عبرت عن منزلة الانسان العربي في هذا العالم الزئبقي والانسان الوجودي اجمالا وهو يسبح في لجة السؤال الحائر بكل ما يحمله السؤال من تلوينات اشكالية...

## I الرمز تحديد اواليته ومصادره

### ( 1 ) اواليته

نظر البلاغيون العرب الى الرمز على انه نوع من الكناية فقد ذهب ابن رشيق الى القول بانه "الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم" (2) ونظر اليه القزويني (3) على انه حلقة من حلقات الكناية يقول "فان كان فيها نوع خفاء فالمناسب ان تسمى رمزا، لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية" الا ان هذا المفهوم البلاغي تطور الى استعمال سياقي الى درجة تخطي الرمز من بنيته البسيطة الى بنية مركبة مجردة يحد موريه (4) الرمز قائلا "هو محسوس يختار للدلالة على احدى صفانه المسيطرة كالمياه فهي رمز الانقياد والليونة والشفافية والتطهير والمحدودية".

### (2) أنواعـــه

أ - الرمز المعجمي

يقول مارتن هيدجر (5) :"ان اللغة لا تنحصر في كونها وسيلة للفهم فتعريفها على هذا النحو لا يصل الى ماهيمتها الخاصة وانما يورد نتيجة من نتائج هذه الماهية"...

---

(2) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده دار الجيل بيروت ص 306 .

(3) القزويني : الايضاح في علوم البلاغة دار الكتاب اللبناني ص 466 .

(4) Morier Henri : Dictionnaire de poétique et de rehetorique 2 Ed, P.U.F. : 1975.

(5) مارتن هيدجر : الفلسفة والشعر : ترجمة الدكتور عثمان امين : 1963 ص 86/85 .

نور اللغة اذن ان تسمو من معناها الاصطلاحي الى تحول رمزي يحررها من مدلولها الضيق لتكتسب معاني جديدة وتأويلات لا محسوسة.

ب - الرمز التاريخي : الموقف الذي ينتهجه المبدع تجاه اللغة يوظفه تجاه التاريخ كان يستدعي المبدع شخصيات من أجل شحنها بطاقة شعورية ورمزية جديدة باعادة خلقها خلقا جديدا... وهي مسألة ترجع الى التصور الديناميكي للتراث على انه كائن حيٍ متضمن لشخوص قادرة على استلهام الحاضر لما ارتسمت على شخصياتهم من مرونة قادرة على تركيز قيم جامعة للانسان مهما اختلفت ظروفه...

ج - الرمز الاسطوريّ :

الاساطير الشعبية والفولكلورية والدينية نسيج معرفي وقع في العصور الغابرة وتكون شخوصها من الالهة وأنصاف الالهة تنمو وتتفرع وتتغير على مر الايام. هي نتاج ثقافي وحضاري معقد متداخل العناصر والمدلولات. يستفيد المؤلف من بنائها ومخزونها لتصبح جناحا يطير به الى عوالم الواقع في صورة الحلم، يجمع بين الممكن والمستحيل، الحاضر والماضي ليتشكل الاتي في صبغة درامية تميط اللثام عن أغوار النفس البشرية وما تحكمها من ميولات ونوازع...

د - الرمز الدينيّ : بناء الانساني خاضع الى غرائز تنحى به منحى ماورائيا يوازن الضعف التي وجد عليه وهو ما طرح التدين قضية جوهرية لتمام تشكيل وجوده الانساني ولهذا طرحت علاقته بالرسائل والقوى الغيبية من أولى المشاغل التي يؤرقه وكان المسرح الاغريقي قد تناول هذه العلاقة بطريقة تراجيدية تتكسر فيها عصا رحلة الانسان المحاول على عتبات الاقدار الغاشمة... وكان للموروث التوراتي مثلا تسميات خاصة مثل "سدوم" التي اخرجت فنيا اخراجات رمزية انصهرت صورتها الاولى لتصبح وسيلة يعتبر من خلالها الباحث عن معاناته الوجودية حاضرا .. الرمز له روحية خاصة تعبر عند تشكليه عن هاجس الفراغ والموت الذي يعيشه الانسان الى جانب المعاناة من عبث الوجود...

- الفصل بين هذه الانواع فصل منهجي لان الاستعمال يجعل فروعها في تداخل وانصهار يضفي على الرسالة الفنية مرونة يتداخل فيها التراث بالمعاصرة هذا الحضور التراثي نابع من الاسباب التالية :

1- التراث كيان مستقل تربط الانسان به روابط تاريخية ذات دلالات ترميزية .

2- توطيد الرابطة بين الحضارة والتراث عن طريق استلهام مواقفه الانسانية والروحية.

3 - اعادة النظر اليه في ضوء المعرفة العصرية لتقدير ما فيه من قيم راسخة في الحاضر.

## II الرمز في الادب الوجودي

يقول الشاعر إزرا باوند (6) في حديثه عن الرمز ، يقول المرء "أنا" ولكنه حالما نطق هذه الكلمة فانه يكف عن ان يكون هذه الانا... اي ان الكلام في عالم الابداع ياخذ مجرى آخر فيه ايحاءات بعوالم اخرى يترصدها الفطن في مجرى الكلام... عملية شبيهة بالتورية في المستوى البلاغي... هذا الالتقاء بين الرمز والمرموز عبر عنه الناقد (آلن سنفيلد) حين اشار الى ان الابداع الرمزي هو مراوحة بين صهيل المتكلم والخلق الواعي للشخصية التاريخية. والعالم الرمزي... وهو المدلول الذي دعمه اليوت حين قال (7) :"ان المرء حين يستطيع حقا ان يتغلغل في حياة عصر آخر فانه يتغلغل في حياة عصره".

هذا الاعتقاد يدعم منزع الادب الوجودي لانه خطاب ذهني اساسه العالم الرمزي عبر علاقات اساسها الدراما مهما اختلفت وسائلها الفنية وطبيعة الاثار المراد امتطاؤها لتمرير رؤى نافذة في هذا العالم اللغز... ان الاثار المستقاة طبيعة وجنسا تمثل اشكالا في حاجة الى استقراء ووقوف...

### 1) إشكالية الادب الوجودي

اذا كان الادب سموا عن معتاد الكلام بالقفز عنه عبر طرق انزياحية تثير الدهشة فان الادب الوجودي هو عيون الادب لانه من أعلى درجات هذا الجنس الفني لحبكته والحكمة شكلا ومضموناوسباحته في عالم انساني يسعى الى تأصيله واثبات كيانه. وان اهم ما يطرحه الادب الوجودي مبحث هو إثارة السؤال حول هذه الطلاسم الوجودية التي تحيط بالانسان. ما الحياة ؟ ما الوجود ؟ ما الانسان ؟ ما الذات ؟ ما الكيان ؟ وهي نفس الاسئلة التي طرحها محمود المسعدي عندما كان يتلمس ملامح الكيان يقول :"... كنت أتساءل وابحث خلال الاداب العالمية قديمها وحديثها وعند مختلف الكتاب والادباء والشعراء عما يعطيني جوابا عن الاسئلة التي كانت تخالجني ما حياتي ؟ ماوجودي ؟ ما معنى الكيان ؟ ما معنى الانسانية ؟.

---

*(6) ازرا باوند : شاعر امريكي (1972/1885) رائد التجديد في الشعر الغربي الحديث له مجموعة شعرية بعنوان "CANTOS"*

*(7) اليوت شاعر وناقد انقليزي : انظر : كتاب اليوت الشاعر الناقد للدكتور احسان بتاس المكتبة العصرية ، بيروت 1965 ، ص 197 .*

الاجوبة عن هذه الاسئلة تفضي الى تنازع الظفر من أجل اليقين... لان الباحث والمبحوث عنه واحد ولان الاجوبة التي طرحتها الاقدار على الطرقات كثيرا ما تثير استكشاف الذات الباحثة لانها عشقت الحيرة ورضت بالمستحيل وروضت نفسها على التمرد والحيرة بما انهما عنوان لفرض البصمات على الوجود... وهنا تطرح قضية هذه الاقدار الحافة بقدر الانا... وان كان الروائي الروسي الذي تاثر به الكتاب الوجوديون ومنهم المسعدي خاصة دوستويفسكي يقول بان المتمرد، المريد تجديد العالم وتغييره كافر بالقدر... فان الكفر في معنى تطليق التسليم والعبودية هو المعنى الذي انبنت عليه الوجودية... لان الوجودية فلسفة تؤمن بالحرية والاختيار والالتزام - والحرية موطنها التحرر من الاعراف المتداولة والتقاليد السائدة "لانها فعل انجزه الاخر ولم ينجزه الانا". هذا ما دعا الوجوديين الى نبذ القوالب الجاهزة والانعتاق من عبودية الماضي واسر الحاضر - على الانسان الباحث ان يتحرر من القيدين من منطلق نقدي فعلا وانفعالا.. وهو ما أرسى مسألة الهوية الانسانية على انها لاحقة للوجود لا سابقة عليه.. الانفلات من سلطة المجتمع ونواميسه والتنصيص على الاختيار الحر الواعي.

الحرية التي ترنو اليها الوجودية حرية كلية مذهب تزعمه سارتر وتزامن مع فلسفة نيتشة المقدسة للقوة الساعية الى ترسيخ فكرة الانسان الاسمى الجدير بالبقاء...

- فلسفة الادب الوجودي تعين على ضبط التداخل بين الشكل والمضمون والمبنى والمقاصد باعتبارهما سبلا مفضية لبعضهما على أساس اختيار رؤيوي واع... وهو ما توفر في مسرحيتي الملك اوديب والسد ورواية الشحاذ.

## 2 - الرمز والادب والوجودي...

بين الرمز والادب الوجودي تقاطعات علائقية لان كليهما يفر من سلطة الموجود كما هو موجود - هما وجهان لعملة موحدة توحد المطية والغاية - هذا الترابط راجع الى كونهما اجتهادا جريئا من المبدع - ولذلك فان مثل هذه الاجتهادات لا تأتي عفو الخاطر - لان المبدع لا يقتصر على بتر الموهبة والصرخات الحيثية لابد له من شحنات دائمة النهل والرشح يقول عبد الوهاب البياتي في هذا السياق "أنا اعتقد ان الموهبة بئر اذا لم ترفده الامطار والثلوج بصورة دائمة او حتى موسمية فانه يشح ثم ينضب.. أما الثقافة الدائمة والمتنوعة فهي وحدها تنعش الموهبة وتغذي ملكة الابداع" هنا تتلون ثنائية الرمز والموضوع الدلالة بتلوينات ارهاصات التحول من الأنا العادي الى الانا المتسامي - واولها الطاقات الايحائية المسعفة للتجربة الحياتية العادية بالمعاناة المعمقة

التي تخرج بالمتقبل من العبور المتسرع الى حالة الانتظار لغير المتوقع انتظار مشوب بحلم هو الواصلة بين الواقع وما فوق الواقع - وثالثهما الوجدان المتسامي لاينال منه الرمز - تتجلى في صورة عشتروت واخرى لجوكستا او لميارى او حتى لمرغريت - رابعهما العزلة التي تحمل الى العوالم المجهولة قبل الولادة وبعد الموت - لتؤلف بين الحياة وحالات الوجود وتقيم الصلة بين الانسان ومصيره...

هذه المعادلة وهذه المعاناة وهذا الدفق السامي لا يتحملها الا ثلاثة : الكاهن الذي يقوم بفعل المعرفة والثائر الذي يهدم العالم الفاسد ليبتني المدينة الفاضلة والمريد الذي يقوم بفعل الخلق - هذه التصنيفات قد تتفاعل في ذات واحدة ونعني بذلك التقاء الكاهن في عزلته وهو يتصل بالمطلق ويتحول بعذاب اشواقه الى شهيد بالثائر المتحول الى عاشق- ثائر قد يهترم ويضطر الى اخفاء عشقه كما يخفي المبدع صوته خوف لظى ما بعد الصوت. نموذج الشاعر - الفارس - المحاصر - الشهيد - العاشق - القائم - الساقط - الباهت - الصارخ - الضاحك - الباكي - وحدات ليست بذات قيمة اذا نظر اليها افرادا.. لانها تتنزل في ديوان اشمل المنطق الاولى الذي صيغت فيه... والمحيط الذي نهلت منه.. والروافد التي تغذيها والمراسي التي ترنو اليها...

3) <u>تجليات الرمز من خلال السد والملك اوديب والشحاذ.</u>

أ - **الرمز المعجمي**:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لئن اختلفت المدارس الاسلوبية فان اللغة تعد المقياس لتحديد الادبية فقد رأى سيدزر Leo spitzer - ان الفرد حر في اختياره وليس مجبرا للخضوع الى ضوابط اللغة الجماعية بل يمكنه ان يختار تركيبا لغويا مميزا له طاقات ايحائية تخلق عوالم انفعالية... والملاحظ ان تصفح اللغة في الاثار الثلاث يوضح انها مكونة للبنية التكوينية للاثر وتتشكل بالتالي في نسق تنازلي بنائي يشكل انظمة اصغر فأصغر وأدق - من النص - الى المقطع - الى الجملة الى التركيب الى المفردات والحروف- هذا النسق هو المطايا الذي يحدد اريحية اللغة وثرائها الداخليّ... يقول، جون كوهـــــــــان Jean Cohen : " الاستعمال يكرس اللغة في ثلاثة أضرب من الممارسة : المستوى النحوي والمستوى اللانحوي والمستوى المرفوض ويمثل المستوى الثاني اريحية اللغة".

هذه الاريحية هي التي تلتقي فيها مختلف الاثار من مسرح وشعر ورواية في مسار واحد...

ب- **سمات الرمز اللغوي :**

أ - البلاغة : البلاغة هي الانجاز وهو ماتوفر في السد والملك اوديب والشحاذ - فالجمل قصيرة ، تمل التمطيط والمجاورات والحشو اللفظي هذا ما توفر مثلا في مدخل مسرحية السد للمسعدي تقول ميمونة انظر الجبل :

غيلان : قد نظرت الجبل

**هي** : فماذا سمعت ؟

فماذا رأيت ؟

**هو** : إني ارى جبلا. فيم السؤال (1).

هذه الجراحات اللغوية سمة تلتقي عندها مسرحية الملك اوديب وهذا مثال، مقتبس من المنظر الثاني ضمن الفصل الثالث :

- كريون : صه

**الجوقة** : ماهذه الاصوات المفزعة ؟

- الكاهن : ماذا وقع ؟

- كريون : دعني اذهب لارى ما حدث.

- الحاكم : يا أهل طيبة : لقد ماتت الملكة جوكاستا... (2) لوحات تجمع بين المقومات الاساسية البلاغية انشاء واخبارا. تقريرا ومجازا... وهو مايبرز في رواية الشحاذ (3) يقول الراوي... "تهلل وجهها فاربد قلبه. والتمعت عيناها بفرحة ظافرة فتجهمت الدنيا، وتجلى الخريف في الجو - وانتشر في اعالي الشجر اصفرار باهت... - هذا المقطع يكشف ان الجملة تكاد تقتصر على الوحدات الاسنادية دون المتممات المسند والمسند اليه روح التركيب الاسنادي عليها تركن الطاقة الايحائية والروح الانتباهية لان الاكثار من المتممات تطويل في التراكيب وتفتت لطاقات المتقبل... هذه الرشاقة اللفظية ركـــز

---

*(1) السدّ : محمود المسعدي ص 45 . ط. دار الجنوب للنشر (1992)*

*(2) الملك اوديب : توفيق الحكيم : مكتبة توفيق الحكيم الشعبية ط 2 / 1991 . ص : 128 .*

*(3) الوساطة : الجرجاني : ص 53 .*



2471

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليها الجرجاني وربطها بالطبع يقول :"يقع اللفظ الرشيق من القلب ويعظم في تحسين الشعر"(1)

2 - الشعرية ...

اذا كان كثير من النقاد في بداية هذا القرن قد نادوا الى الابتعاد عن التقريرية المباشرة واعتماد الصورة الرمزية عبر لغة رمز (2) وذلك راجع الى كون الادب العربي يفتقد الى الاستخدام الرمزي كان للادب الوجودي اسهام في هذا المجال اصطبغ بصدى شعري فني وكان ذلك بطريقتين...

**أ - الشعرية المباشرة :**

وتتجلى في المقاطع الغنائية الاناشيد التي تنطق بها الالهة وسدنتها - اناشيد افحام واقصاء ساخر - شطحات صاهبائية تتجبر على عالم الاموات - ايحائية سراب تقرع النفوس بايغالات الفاظ نارية وكشوفات ضبابية ودعوة الى مزيد الانبطاح.

من فوق الجبل
أشرف على الوهد
أطلق للبصر
ثم اخرج من الوادي
الى وهد القدر
هو كشف، انه هو السراب
يخرق الارض نوافذ
يفتح الابواب
يفسح الافق عليك
يغري بالذهاب
لكن القحط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

*(1) الجرجاني/الوساطة/..ص 53 .*

*(2) نذكر من هؤلاء عباس محمود العقاد وجماعة أبولو وخاصة احمد زكي ابو شادي.*

والنار

من ورانه

ولظى حر الاوار

تحت مانه

نار منصبة

وخصم فؤاد

ترانيم الرعاديد تدندن على أعتاب الاذان المفغورة، صرير السلاسل تثبط العزائم زغاريد هستيرية تنكأ البطولات المهزومة المنكوبة - الملاحظ ان هذه المقاطع قد حبكت في تناسق جمالي متين قوامه الايقاع التصاعدي القائم على تواجد الوتد المجموع في صدارة التفعيلات - والاكثار من الحروف الشديدة المجهورة - والحروف اللسانية المجهورة... وايجاد تناغم بين الحركات الكسرة البسيطة والكسرة الممدوة والسكون الذي يلبسه الروي.. اضافة الى تزيين خواتم المقاطع بحروف لهوية... هذا الخط الايقاعي يصاعد تصاعد مغري الكلم وروح الرسالة المشهرة... لينغلق المقطع الشعري بتكامل الانشودة العنيدة....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلا تعرض للربة

ولا تقرب الواد

فهي صيهود

ورعد رعدود

وفلق جلمود

ذات الرواعد الربة

فادع ذات الرواعد

وسبح لصاهبًاء...

تراتيل حياة ماعشقت الحياة... انجيل صاهباء يقرع النفار طلقات مدافع عشوائية تطلق نيرانها لصد غاز سراب، هو ما اشار اليه بول كلوديل، " مازحا مثل الشعر كمثل

المدفع تأخذ ثغرة وتبني حولها" (1) او ما ذكره "ارقون" قائلا "وكم من شهقات- يقتضيها لحن يعزف على اوتار القيثار "(2) او ما قاله الاستاذ الجيلاني بن يحي "تسمع رائحة القيتار تحترق"... وما اشبه هذه الالحان بألحان جوقة سيزيفيه رتلها توفيق الحكيم في انجيل الملك اوديب جوقة السؤال المحير عن الحقيقة وجوقة الاقدار تمخر الواقع بقعقعات المشابك وانتظارات على سلم اعمدة موسيقية جامدة... معنى الحياة يظل القصيدة اللغز - نغماتها واضحة واضحة حتى الغموض - غامضة حد الابهام - نغمات رقصت عليها الحجارة وعوى الذئب ترنحا وصك البغل تخمرا وتلونت على اعتابها مارغريت راقصة الملهى في رواية الشحاذ شادية... ان كنت تريدني حقا فلماذا هجرتني... ان شرود المخيال عن هذه الشعرية متصاممما لشبيه بحالة الذهول القصرية التي تنتاب البطل الباحث وقد تبلدت حواسه الم يقل ايليا ابو ماضي مناشدا متقبلا معانقته في فاتحته المشهورة.

يا رفيقي ... أنا لولا انت ماوقعت لحنا...

ان بعض الفن قول فاجعل الاصغاء فنّا...

ب - **الشعرية غير المباشرة.**

ورد في مقدمة الجداول لايليا ابو ماضي قوله :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"يا رفيقي انت ان راعيت فجري صار أسنى

لست مني ان حسبت الشعر الفاظا ووزنا".

أي ان الشعرية موسيقى ترصف عبر السياق الداخلي ويحصرها بعض النقاد في الايقاع المتجاوز للمعايير التقليدية للشعر ويتأتى ذلك من تراصف الالفاظ وتناسق الحروف وتماثل الموضع والمعنى والمبنى في صورة موحدة يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ص 69" اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ البيت من الشعر لايقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات (اولاد الرجل الواحد من امهات شتى) واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة. و أجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء

---

*(1) السد : تقديم توفيق بكار طبعة دار الجنوب للنشر - تونس 1992 .*
*(2) المرجع السابق ص 12 .*

سهل المخارج فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا". هذه الرشاقة التركيبية تتجلى في مفتتح مسرحيه الملك اوديب من خلال ترشف العائلة كأس البطولة القصة : " أبي قص علينا كيف انتصرت على الوحش

- او لم ستأمي منها..

- تهز رأسها نافية... لن نسأم ابدا...

- اذن اسمعوا كان ذلك منذ سبعة عشر عاما...

جوكاستا وهي تجلس منذ سبعة عشر عاما

أوديب : نعم اصبت ... اني دنوت من اسوار طيبة

- من البداية قص علينا من البداية.

مقطع مسرحي شعري ارتبط بهذه الوسوسة الداخلية ومن خلال الحروف الصفيرية المتجانسة والاعادات المتكررة للمقاطع والمصطلحات هذه النغمة تتكرر في مسرحية السدّ . تقول ميارى : " جعلت رأسك على كتفي وشعري... وطوقت رأسك بذراعي فاذا انا حاملة اناء خمرا وصنما معبودا وعالما حبّا. واذا نحن احسن الحسن. واذا حسننا نفي لكل شيء سوانا.. وهان عندنا الامل والعزم والخيال والوهم. وهان في أعيينا الكون... هذه الفرادة بين التشكيل اللفظي والموسيقى جعل بعض النقاد يسمون السدّ بالديوان الشعري ... يقول طه حسين : " والقصة كما قلت شعر كلها ولكنه شعر غير منظوم هو الشعر الفرنسي المطلق ادنى منه الى اي شيء اخر...

الايقاع الشعري هو الجامع للاجناس الادبية في تسمية موحدة لتصبح الحدود بين القصة والرواية والمسرحية والقصيدة لاغية... رواية الشحاذ لمحفوظ ارتبطت بهذا الوقع الابداعي المنزاح عن ترصيف الكلم التقريري في وظيفة شعرية بينة فقد ورد في الصفحة 179" لم ار شيئا اول الامر- شعر بوثبة تبشر بالنصر وشاع في صدري شعور غامض بالسعادة وتذكرت الاحساس الباهر الذي سبق الرؤيا ساعة الفجر بالصحراء. لم أشكّ ان النشوة آتية بموسيقاها وان العريس سبزغ وجهة" هي شطحات الوقع ينساق متماوجا مع وثبات التبشير اليقيني في لحظات اخاذة تشيع ايحاءات الحركة والايغالات في عوالم الروح القصية... هذا ماأكده اليوت بقوله : " لا أعتقد بانه يصحّ اعتبار لفظ اصيلة في اللغة الام جميلة او رديئة فموسيقى الكلمة وليدة صلات عدة انها تنشأ من علاقتها اولا بما يسبقها وبما يعقبها مباشرة... وتنشأ

الموسيقى عما للكلمة من طاقة قوية او ضعيفة على الايحاء...".

هذا الارتباط بين السابق واللاحق هو الذي حمل الشكلانين الروس على اعتبار الشعرية وحدة ايقاعية اشمل من النبرة والاعادات اللغوية المكررة هي حركة الى جانب تفاعلاتها الداخلية في تفاعل مع حركة اخرى موازية لتصبح حركة الليل والنهار ايقاعا والموت والحياة ايقاعا والحقيقة والواقع ايقاعا وكذلك الماضي والحاضر - ثنائيات تمثل عماد الادب الرمزي - وتنتشر على طيات تصانيفه في حركة درامية موسيقية يقول الفيلسوف الالماني شوبنهاور "ان كل ضروب الفن تصبو الى الوصول الى مستوى التعبير الموسيقي الدرامية" والدراما تعني تلك العلاقات الصراعية في مختلف الاشكال والالوان التي لا تصير في اتجاه واحد وانما يؤخذ في الاعتبار ان كل فكرة تقابلها فكرة وان كل ظاهر يتخفى وراءه باطن وان التناقضات وان كانت سلبية في ذاتها فان تبادل الحركة بينها يخلق الشيء الموجب ومن ثمة كانت الحكاية نغمة اقاعية ايجابية تستفيد من هذه الحركة المتبادلة بين المتناقضات : الحمزاوي قدر عليه ان يبحث في جواب وليد وخزة الضمير وسقط في أراجيح صاعدة نازلة : ارجوحة الذات ونشيد عوالم النساء وأهزوجة الصحراء وقعقعة لحظات اليقين " غيلان سحره بهرج البناء فتناظم مع عوالم العالم يسرقه على نغمات الجوقات يطلب ودها بايقاعات الجهد والعمل والفعل والمغامرة واوديب عشق الحقيقة فترنح على سكراتها عازف اغنية جبران في عواصفة " أنا غريب عن هذا العالم....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## 3 - الدرامية :

اللغة الوجودية لغة شعرية تعانق الدراما لتتلون بها اسلوبا وفكرا فهي لغة صراعية تنتظر المتقبل فاتحا لها - صدامية حملت على عاتقها عنان مواجهة الاقدار - حميمية في مغازلتها الجنور التراثية ايحائية في نقلها النص الى فرجة وخيالات تجمع بين الممكن والمستحيل المعارف المستقيمة والمعارف الاندفاعية وتدفع النصوص عن الغنائيات الى التفكير الموضوعي يقول الناقد عزالدين اسماعيل (1) من ابرز سمات التفكير الدرامي انه تفكير موضوعي الى حد بعيد حتى عندما يكون المعبر عنه موقفا او شعورا ذاتيا صرفا ففي اطار التفكير الدرامي يدرك الانسان ان ذاته لا تقف وحدها

---

*1) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره القنية والمعنوية "دار العودة ودار الثقافة ، بيروت 26، 1972 ص 287 .*

معزولة عن بقية الذوات وعن العالم الموضوعي عامة" - هذه الذوات الاخرى هي التي تولد مبدأ الصراع والانسان وتناقضات الحياة هي العناصر الاساسية المكونة للادب الذهني - الانسان في كل تجربة من تجاربه يخوض معركة مع نفسه واحيانا مع ذوات اخرى الهية او طبيعية يقول عزالدين اسماعيل (1) " ليس من السهل ان يتحقق الطابع الدرامي ما لم (تتحقق) تتمحل وراءه او فيه العناصر الاساسية التي لا تتحقق الدراما دونها واعني بذلك الانسان والصراع وتناقضات الحياة".

## 4 - السرد والوصف :

اذا كان من المعروف عن اللغة في الادب الوجودي انها لغة حوار واشارات فانها ايضا لغة سرد تضطلع فيه اللغة في التقاط تفاصيل المشاهد ودقائق النغمات المتنافرة وايقاعات التحولات المتدافقة. اللغة السردية تتفاعل مع اللغة الوصفية في تخليصهما من وهم الاستنساخ والمحاكاة الى تفريد النظر الى العالم وتحوير الواقع تحويرا بلونه وبخصوصية عن التضاريس المندغمة كما يقول جابر عصفور في مهمة تحويل الواقع المادي الى متخيل . هذا الانكشاف يتوضح في نقطة التمفصل الحادة التي تتفتح عليها رواية الشحاذ في تحويلها الصورة الحائطية الى طاقة صدامية مع الواقع ونقطة تضاد قصوى مع عالم الشخصية المحورية ويكون الكلم ارتدادا عن الكلم السردي بمفهومه الكلاسيكي المضطلع بدور الملحمة في المجتمع اليوناني الى تشخيص التلاحم لا مع العالم والمطلق بل مع الحركة والتحريك واستحضار الفوضى والتناقض والقلق والتمزق - اللغة السردية اضحت تحرك القارئ في جميع الاتجاهات لتقدم له المشاهد واللحظات والاستبطانات والاحلام والاستفهامات كما يقول محمد برّادة (2) - هذا التحريك يبدو في تدخلات الجوقة في السد و"الملك أوديب" انزياحات وظيفتها طاقات جمالية تتيح كشف ما هو تحت السطح. ان اللغة بهذه المواصفات تلتقي بفلسفة السرد في مشنأ تطوره الاول الرامي الى رفض كل اشكال القيد والاقدار مهما اختلفت انماطها يقول جابر عصفور(3) : "لقد كان ازدهار القص في تراثنا العربي قرين الاحتجاج على القمع والتمرد على العنف الذي يفرض به التراتب الاجتماعي على

---

1) نفس المرجع ص 284 .
2) مجلة فصول : زمن الرواية المجلد 11 العدد4 / 1993 ، ص 10 فصل بعنوان الرواية أفق للشكل والخطاب المتعددين.
3) المرجع الساق ص 6 .



2477

البشر والرفض لكل اشكال القيد على حركة الفكر في تطلعه صوب المعرفة . وفي الوقت نفسه، كان قرين البحث عن لغة تراوغ المردة، وتستأنسهم بحيل السرد كي تبعد سيف الجلاد عن رقبة القاصّ - أو تستأنس الجبابرة العماليق فتدخلهم سجن النص - لذلك انتشرت رمزية كليلة ودمنة في طرقات بغداد على السنة الهامشيين... وتحول قص شهرزاد الى احتجاج على قمع التراتب الاجتماعي رفضا لهواة المكانة المفروضة على امثل الجارية وظلت محاكمة الحيوان للانسان عند اخوان الصفا تطلعا الى امام يملا الارض عدلا بعد ان ملنت جورا وكان القص في حي بن يقظان امثولة تنقض التراتب القمعي المفروض على علاقات المعرفة ووسائلها التي تحول بين العقل الانساني وحركة ابتداع معرفته دون وسيط او قيد.

## الرمز التاريخي الاسطوري :

هنالك تشابك بين الرمز التاريخي والرمز الاسطوري فاية شخصية صوفية هي بالضرورة شخصية تاريخية وان انشغال المبدعين بالتاريخ والاسطورة مرده الى التخفي وراء اعلام تقولهم ما يريد قوله ويكون ذلك بالمرور بمراحل :

1 - اختيار ما يناسب تجربة الشاعر من ملامح هذه الشخصية...

2 - تاويل هذه الملامح تأويلا خاصا يلائم طبيعة التجربة...

3 - اضفاء الابعاد المعاصرة لتجربة المبدع على هذه الملامح او التعبير عن هذه الابعاد من خلال هذه الملامح بعد تأويلها.

## فلسفة الاستخدام الاسطوري في الادب الوجودي :

الاستخدام للرمز الاسطوري التاريخي ليس جنوحا لاضافة تجربة في السجل الابداعي بل هو ارتقاع الى مستوى الرؤيا في ما تحمله هذه التجربة من احلام عريقة حين كانت تؤمن بالخوارق والاقدار التي تكيف مصائر الناس حسب مشيئتها وحين كان الحلم يختلط بالواقع والوهم بالحقيقة لذلك وجد هذا الاتجاه الاطار الانسب للتعبير عن احساسات ومواقف هي في جوهرها تتصل اتصالا وثيقا بما كان تخيله الانسان في مختلف مراحل تاريخه يقول البياتي "لابد للابداع ان يتحصن بأشياء جديدة اي ان هذه الاشياء هي العلاقة بالاسطورة مثلا بدأت تنضج في نفسي وتجد لها دوافع داخلية وخارجية لكي تظهر - أذكر ان جدتي كانت تروي لي في الطفولة اضافة الى الاساطير

اليونانية ... دائما اجعل من هذه الصور قناعا لي وقناعا لك او لاي انسان" (أ) الاسطورة اداة فنية، وسيلة لغاية لا غاية في حد ذاتها الحديث عن شهرزاد او أهل الكهف ليس لتسجيل رواية بل تصوير معالم انسانية والسمو بالعالم الابداعي يقول نوفيق الحكيم مثلا " الادب الحقيقي هو ما استند الى أساطير الرومان واليونان اي مخلوقات الانسانية التي ابتدعتها احلامها الجميلة وخيالها الرائع" وفي موضع اخر يقول ان استبحاء اساطير اليونان والرومان وامرئ القيس وشهرزاد هو النوع الارقى في الادب في كل أدب لا في الماضي وحده ولا في الحاضر وحده بل في الغد ايضا وبعد الاف السنين ما دام الانسان انسانا..." استعمال الاسطورة هو استعمال هذا الهيكل الديناميكي المتزحزح من امة الى امة سربروس هو رمز الدمار/ الكترا رمز الانتقام/ عشتار رمز البعث.

## تجليات الرمز الاسطورية :

الاستخدام الاسطوري حاضر في الادب الوجودي ان اختلفت مصادره فهو ينتمي الى المرجعية اليونانية والى الذهنية العربية والى الواقع الاجتماعي المشرقي : أوديب - نرسياس جوكستا شخصيات تربعت على الثقافة الاغريقية تربعها على مسرحية الحكيم - أساف ونائلة - بطلان انتميا الى الثقافة العربية ونسجت منها المخيلة روايات اخرجتها الى متصور يترقى فيه الانسان من البساطة الى التركيب من العادي الى الالوهي - الحمزاوي وان نبع من المخيال الاجتماعي فان تركيبته الاشكالية جعلته يترقى الى مرتبة الابطال الاسطوريين في تناقضاته وقبوله مبدأ تجاوز المعطى المادي في الانسان ليسبح في اطلاقية المطلق... شاء القدر ان تلتقي الحقيقة والواقع على تناقضات عجز الانسان عن حلها ليقتل الابن اباه وتتزوّج امّه ويفقأ عينه - ارادة ملكية العالم هي الموضوع انبنت عليه الاثار الثلاث - سرقة الحقيقة من الواقع وسرقة السدّ من صاهباء وسرقة معنى الحياة من الحياة بلا معنى. موضوع تشابكت خيوطه مع خيوط العلام الاسطوري المأساوي - عالم الذات المحفزة والمجتمع الميت والعقبات الخصية للبناء - ان اوديب وهو في سقطته وانتصابته حيرته ويقينه لصورة لغيلان واساف وهما بين الحلم الاستحالة مثلهما مثل الحمزاوي وهو يسقط ورقات الشك والحيرة ونكسات عرصات القيامة التي تناديه وان كسر عصا الترحال لان استلاب الوجود من حبائل الموت والفناء للذات وعجز امام المرمر الصلب والخيوط المستقيمة ...

---

1)حوار معه / جريدة القدس الاربعاء 1992/12/16 .

هـــــي حـــالة تربط باسطورة جلقامش السومرية التي دونت منذ ثلاثة الاف قبل الميلاد وتروي قصة الملك يسعى بكل ما يلتهب في داخله من رغبة في الخلود وتحقيق حياة ابدية رحلة انتهت بعودة الى المجهول وقد خابت آماله واشرقت الحقيقة التي لم يستطع نقضها وهي انه الانسان ولد ليموت... التقاء بجنكيز وهو يسطو على بغداد في شعر بدر شاكر السياب - صورة واحدة تعاد لف مرة في اللحظة الوجودية صورة الانسان التي خلقته اسطورة الحياة وجعلته كالطائر الاسطوري الفينيقي يقبع بين شرك دولاب غير صالح... عالم غرابة سليل الغرابة الوجودية التي تقول :

1 - ان الانسان قد ألقي في هذا العالم وحيدا غريبا بلا نصير ولا معين.

2 - ان الاخرين يمثلون جحيما يعوقنا عن تحقيق وجودنا.

3 - انه مسؤول اذ يتحمل عبء حريته التي هي اساس وجوده.

4 - ان هذا الوجود ضرب من العيش وعلى الانسان ان يجعل له معنى وبعبارة اخرى عليه ان يحقق وجوده بان يحوله من الكينونة الى الوجود...

- الاسطورة لها قيمة الاضطلاع بتجاوز القصور في صراع الانسان مع الموت فقد ابى ان يستسلم للهزيمة - الامر الذي دفعه الى ابداع عالم اسطوري يتغلب فيه الانبعاث على الموت - الفكر الاسطوري انكار عنيد لظاهرة الموت وأقوى تأكيد عرفته الحضارة الانسانية للحياة. وقد قال كاسيرر ان فكرة الانبعاث توجد في كل زمان ومكان وهي وسيلة سحرية. ووهم طفولي - يراود الانسان في مراحل مختلفة من حياته.

الانسان المبدع يحقق خلاصه بالرمز الاسطوري تقول ريتا عوض :"كان الانسان في جنة عدن يستخدم قواه جميعا بفعالية تامة فكان بامكانه ان يتحدث مع الله مستخدما الاساليب الروحية او ما فوق الحسية كما لو كان يتحدث مع بني جنسه لان العالم كان وحدة لم تتجزأ ولم يكن يعرف هنالك فصل بين الجزء والكل وبين الخاص والعام وبين الذات والموضوع..."

## الرمز الديني :

العالم الديني هاجس الانسان منذ منشئه الاول وتعد الكتابات المقدسة مرجعية لاستلهام الرمز الديني يقول عزالدين اسماعيل :"استقى المبدعون كثيرا من شخصياتهم التراثية خصوصا الشخصيات الدينية وقد تكون متمردة مطرودة كالشيطان وقابيل ..." وقد اعتمد البعض مصادر اسلامية كالقرآن لدى دانتي فـــي

في الكوميديا الالهية وجوته في ديوانه : الديوان الشرقي وفيكتور هيقو في ديوانه المشرقيات وغيره - هذا المصدر كان متاحا امام الكتاب الوجوديين لاستلهام كتاباتهم.. العلاقة بين الانسان والقدر شكلت مشكلة الوجود... ولهذا كان الرمز الديني نقطة التقاء بين توفيق الحكيم والمسعدي والشحاذ ونتبين وجود حضور الاهي لا فعال فالرموز تأخذ اما صورة كاريكاتورية مضحكة تبرز سخفها او في صورة سحرية تدل على انها لا تكترث تماما بالانسان وبمصيره وانها لا تتدخل في شؤونه الا لايقاع الاذى به ولتعذيبه كما هو الشأن بالنسبة الى الرموز الدينية في مسرحية الملك أوديب وفي كلتا الحالتين تبدو غريبة بعيدة عن الانسان كانما خلقته ثم تركته في عالم لا يقوم على قيم ولا على خصائص مسبقة... عالم انبثت روابطه معه وانعدمت كل جاذبية تشده الى معلوم ثابت يعطي حياته ومصيره معنى...

عالم المسعدي ايضا في السد مليء بالطلاسم والمعجزات - واصوات صاهباء تقرع النفار وتفتل منابت الانبعاث من خلال عاداتها الشهرية... يقول المسعدي عن صاهباء... عن رمزه : صاهباء او الاصوات والهواتف التي تنذر نرمز كلها الى ما يجده الانسان المقدم على مسؤولية الخلق في الكون من قوى تقاومه ومصاعب تعترض سعيه وتلك عراقيل متنوعة لبنية بشرية او مادية فقط بل هي ايضا قوى مناوئة كامنة في الكون نفسه وأنتم تعلمون ان البشرية لا تزال من اول الخليقة في صراع مع القوى الطبقية المناوئة لها ولا تزال على مر الدهور تحاول بوسائل العقل والتفكير والعلوم والفنون ان تجد السبيل الى السيطرة على تلك القوى وكل تاريخ البشرية يشهد بما قطعت من أشواط في الميدان وكبف تغلبت شيئا فشيئا على القوى الطبيعية التي كانت قاهرة لها في العصور الاولى حاكمة عليها بالتوحش والبدائية فارضة عليها غرائب العقائد التي كانت تمتاز بها العقلية السحرية في تلك العهود العتيقة للفكر البشري - وقد كانت تلك العقائد السحرية كلها ناشئة او ناتجة عن تخوفات البشر واوهامهم ازاء هذه القوى الخفية الغامضة المنطوي عليها الكون والتي لم يكن وصل الانسان في ذلك العهد الى فهمها او التغلب عليها. هي معتقدات ناشئة عن خوف الانسان البدائي من الصاعقة ومن الرعد ومن الكوارث الطبيعية ومن الرياح. وكل تلك القوى الطبيعية الظاهرة وغير الظاهرة التي يشعر الانسان ازاءها بالعجز وبالضعف. اما لغة السدنة في دعائهم وترتيلهم ورقصاتهم ولغتهم الغامضة هي لغة الذين ليس لهم ما يقولون - قوة عمياء من البشر - يتخبطون في عالم اللامعقولية والجهالة فكلامهم وأصواتهم كانها آتية من أعماق العصور المظلمة عصور التوحش والبدائية واللاوعي. ولعل في ذلك مرتبط بالانحطاط الفكري والرجعية وجمود العقلية التي تعارض في المستوى الفكري والعملي كل ما فيه تطور ورقي وتجديد.

## قيمة الاستخدام الرمزي...

لرمز ظاهر تلغيز القول ... والاكثار منه استعمالا واسترفادا يزيد الكلم ابهاما ولعل ذلك خير ما فيه اذ المجاهرة سبب سقطة الرسالة في ذهن المتقبل - تستحيل مجرد تلهية للنفس يمر بها المتقبل مرور المستهلك يشبع فيه حاجته المادية في هذه المياه - ان الاستخدام الرمزي ينقلنا من مجرد الاسف الذي ينتابها او الفرحة العابرة الاتية اللذان سرعان ما يفتنيان ويرجع القارئ الى سالف وضعيته... ان العصر الحاضر عصبي المزاج في حاجة الى كتابة عصبية والرمز هو الواسطة لانه يخلق ذلك الانفعال اللغزي من ذات تتربص بحثا عن مسكنات وقراءة لقرية تأبى كسر ستر مكنونها - حالة بحث عصبية يحفظ حضور الرسالة لدى ذهن المتقبل ليبدع جنوره فيها ولو بالسؤال.

- هي عملية احتراق بعد ان احترق الكاتب بما كتب يقول ادونيس :"**ان الفنان مطالب من أعماق اعماقه ان يحترق مع الاخرين عندما يراهم يحترقون اما الوقوف على الضفة الاخرى والاستغراق في الصلوات الكهنوتية فليس هذا من صفات الفنان الحقيقي في اي عصر من العصور**" هي صوفية موحدة تبحث عن مطاق الحدود تجعل من الرسالة الابداعية كيانا غير عادي ابطاله يتقدمون في الحياة بنفس مثلومة ومشيئة غير مستوية. كذلك المتقبل في انزياحاته وسموه عن مجرد الكيمياء اللفظي في طبق المصارحات المهاترات. هذا الانزياح يفتح مجالات التأويل قال عنه ابو تمام مجيبا صاحب سؤال لماذا لا تقول ما لا يفهم ؟ فأجاب لماذا لا تفهم ما يقال ؟.

## 2 - القيمة الاجتماعية :

الرموز لغة وأسطورة ودينا ليست تلوينات من عالم الخيال هي صوت ينفلت من رحم اللغة والتاريخ لتشخيص موطن الورم يقول البياتي في قصيدة ترتبط بهذه المعانقة...

**في سنوات العقم والمجاعة**
**فارقني**
**عانقني**
**كلمني**
**ومدّ لي ذراعه**
**وقال لي**
**الفقراء البسوك تاجهم**
**وقاطعو الطريق**
**والبرص والعميان والرقيق.**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو التزام رابط شفاف بين القيم الانسانية الخالدة والذات الفانية - رسالة لمحاولة الوقوف صدا امام انشقاقات الارض يقول الشاعر سميح القاسم :"**لن تحاول الارض ان تنشق فتبتلعني فلاحاول ان انشق لابتلع الارض الان**".

الرمز يتمّم جانب النقص في الانسان يخرج من خطاب اللب والفشار الى الانتاج الفعلي وتشخيص لحظة الضعف وحلو الاختراق في الكيان - ان المأساة التي تحدق بالانسان المشرقي لتتجاوز الثرثرة والولولة لانها من العمق والقوة والسرية لا يدرك مفعولها الا بايجاد بنية تشكيلية فنية تسكنها عوالم الذات القضية... هي شبيهة بطعنة يسددها لاعب ماهر بخنجره المسنون الى صدر خصمه فلا يشعر بهذا الالم الا بعد ان يبرد الجرح كما يقول انطوان مقدسي وسوف يمضي زمن طويل قبل ان يبرد جرح هذا المسكون بالخوف في عالم الغربة واللاأسماء ان الرمز تلطيف من صرخة هذا الانسان التي سجلها جبران " **انا غريب وليس في الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسي أنا شاعر انظم ما تنثره الحياة وانشر ما تنظمه ولهذا أنا غريب وسابقى غريبا حتى تحطمني المنايا وتحملني الى وطني**(العواصف ص 487).

الانتماء هو شغل الرمزية الشاغل مادام العالم زئبقيا لم تتوضح ملامحه فان الفرد سيظل يقوم بطقوسه الوثنية يقول البياتي : "**الصدق في الشارع حوار فليتكلم المبدع مع نفسه ... ليس في الخارج ايمان فليمارس الشاعر وثنية الذاتية ليس في الخارج انتماء الى امة فليسجل طقوساته**".

موت الرمز منفرد في الادب العربي سيبقى شاهدا على عصر التأزم والقلق والحروبات العديدة - عصر عظمة الانسان وسقوطه - هو صوت غريب حميم كسر منذ الازل منابت العدم وحام على مدن الارض حاملا صوته الغريد وكلامه الذي لا يقهر يريد الثورة ويريد ما هو ابعد منه يعرف كيف يحب وكيف يحقد وكيف يقاتل الجرأة.

عصرنا في حاجة الى الرمز بعد ان فقد ثقته في الاخلاق والعلوم - انه في حاجة الى الرمز بعد ان تهاوت كل القيم وتلاشت..

**الموضوع الذي يحتاج كاتبه الى ان يدرس فيطيل الدرس، ويبحث فينعم البحث عسير على القارئ والكاتب جميعا. وتخير الالفاظ يكلف القارئ والكاتب ما لا يحبان ان يتكلفا... فكثيرا ما نقرأ لنقطع الوقت لا لنغذو العقل والذوق، وكثيرا ما نقرأ لندعو النوم، لا لنذوده عن انفسنا.**

**طه حسين / الاهرام (ماي 1952)**

# حِوارٌ ساخِنٌ على نارٍ هادِئَـــة

■ بقلم : عزيز الوسلاتي

إذ أجدّد شكري الخالص لإذاعة المنستير، ولمحراب الأستاذين الجليليْن محمد البدوي وعبد العزيز شبيل، فإنّي أعانق كل من عانقني من خلال (عَسَلِ الدّفْلَى) مدحا أو قدحا، وأبارك الاهتمام بهذا الوليد الذي اقتطعته مِنّي لينمو بين الجوانح إن لينا أو قسْوَةً.

ولئن ارتأيْتُ «لِزَامًا عَلَيّ - أن أرُدّ على السؤال إذا ما سئلْت عنه أو فيه، فإنّني مقتنعٌ - تِلْقَائِيًا - بألاّ أتدخل فيما يذهب إليه القُرّاء الكرام قراءة، أو تحليلا، أو رؤى، إذ القارئ حرّ في أن يركب الشّراع الذي يشتهي ليشقّ السكينة أو العباب.

لكن الأمر إذا أصبح خطئا وتعصبا للخطاء، أو تناولا يركب منطبق (قل ولا تقل)، أو صفويّة ضاربة في قص جناح اللّغة، أو قلّة اطلاع وانعدام اختصاص، فإنّ الصّمت يردّ ويستوجب الكلام.

وهو الحال مع الصّديق (محجوب العيّاري). ولا خوف علينا إن اختلفنا ولا نحن نحزن ولا اللّغة. أو لم تختلف فيها القبائل وتأتلِفْ؟ والمدارس؟ والنحاة؟ أو ليست زاخِرَةً بها مؤلّفاتهم وممتعة؟!

فليسمح "العيّاريّ" إذن باسترجاع لحظات من متع الأجداد، شريطة الا يكون

القصور دينا والتّشبّث الأعمى بالتّخْطِئَة ديدنا يحلّيه ترصيف النعوت الحاقدة ("فظيع، شنيعٌ، لا يغتفَرُ...") والحال أن ما اعتُبِر خطأً هو عين الصّواب وبؤبؤه.

وقد قال المتنبيّ :

وَمَنْ يَكُ ذا فمٍ مُرٌّ مَرِيضٍ.. يجِدْ مُرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلاَلاَ.

1 ـ قصيدة نعاس ص 23.

بِنْتُهُ رُوحُهُ

عندَه نَعَسَتْ

هَزّها لتنامْ

قضّ الفعل (هَزّ) مضجع الصّديق لأنّ أخذ البنيّة الناعسة لا يكون بعنف بل بهدوء. وهزّ معروفة حكايته مع النخلة وأم عيسى. وقد تصفّحت حين ولدت القصيدة المناجد لعليّ أظفر بمعنى "الكياسة" و"النعومة" فلم أظفر فاستحليْت أن أبْقِيَ على فعْلِ (هزّ) بالمعنى المضادّ له في العربيّة الفحة، المناسب له تماما في المعنى العلميّ اليومي المتداول وأنا بكامل وعيي ومداركي العقليّة رغما عن منجد.

وتساءلت ـ مع بعضهم ـ لماذا لم يخطّئ الصّديق الجملة الشّعرية التي سبقت هذا المقطع :

اغْفِرُوا ذنْبَكُمْ

والمداول المعاد أن يستغفر الله، ومع ذلك لا أزال مصرّا ـ بوعي ـ أن "اغفِرُوا ذنبكم". و"البلاغة ذمّتها واسعةٌ"!

2 ـ قصيدة عصافير 27.

ورد في المقطع الرّابع :

فصرح الصّديق ـ معتمدا على المعجم ومتّكئا على المنجد ـ لانّ الحاء والباء لا تستعملان إلاّ مؤنثتيْن، ولا يُذَكّرُ الفِعْلُ إلا بذِكْرِ (حرف الحاء وحرف الباء). ألا تلاحظ معي هذا الثقل الرّصين. ألا يمكن استعمال الحاء بإضمار لفظة "الحروف"

والشّعر أسّه الإيحاء ونفسه الإيجاز؟ ثم وهذا الأهمّ عندي : من قال "إنّي أروم بهذا التعبير حرفيّ الحاء والباء والصورة منشطرة ـ منذ بدء القصيدة ـ شطرين، شطر الحاء وشطر الباء. والقلب يرْسم بوجنتين إذ (التحمتا اكتمل الحبّ واكتملت الصّورة فيعانق الحبيب (الحاء) الحبيب (الباء). ألا ترى أنّ توليد الصّورة المتخيّلة ـ ضمن كل إطار القصيدة ـ أكبر وأعمق من (حرف) أو فعل يذكّر ويؤنّث

والحال أنّ المقصود ليس الحرف في حدّ ذاته وليست الحاء ولا الباء في حدّي ذاتيّهما.

وقد ورد في المقطع الأخير من هذه القصيدة :

غنّوا

عيدُوا

فنعتنيّ "العارف بالصّرْف" بجهل الصّرف إذ الفعل "أعادَ" يصرّف في الأمر "أعد" وأعيدوا.

بلَى ! والدّليل على أنني على علم اليقيم بذلك نشرت هذه القصيدة بمجلة الإتحاف (عدد 26 نوفمبر ـ ديسمبر ـ السنة السادسة 1990 ـ ص 25)

بفعل أعيدوا. لكنني حين أنكببت على اعداد المجموعة للطبّع عدّلت (أعِيدُوا) (بعيدُوا) قياسا على (أخذ وأكل وأمر وسأل)

واحتراما للوزن. والجوازات الشعريّة رحمةٌ. والقصيدة فرضت عليّ رنّةَ الخبَبِ. فلم أيبس ولم أتجمّد في قوالب اللّغة الجاهزة.

3 ـ قصيدة العيد ص : 36

ورد في المقطع الثّاني :

كم عِفريتٍ (خفض التاء) ربّيناه

كم شيطانٍ دَرّبْناه (خفض النّون أيضا)

فسألني الصّديق مستفزّاً استفزازا غير بُريءٍ، كيف تكسر المفعول وأنت الأستاذ في اللّغة وتعدّ بحثا للمرحلة الثالثة ؟! فدحجته وسكت وكنت ممتلئا بالكلام. ولسان حالي يردّد ما قاله ابن هشام في (شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى) ص 239 :

ومن تمييز العدد تمييز "كم" الاستفهامية، وذلك لأنّ "كم" في العربيّة كناية عن عدد مجهول الجنس والمقدار، وهي على ضربين : استفهامية بمعنى (أيّ عدد) ويستعملها من يسأل عن كميّة الشيء، وخبرية بمعنى كثير، ويستعملها من يريد الإفتخار والتكثير.

وتمييز الاستفهامية منصوبٌ مفرد تقول : كم عبد ملكت ؟ وتمييز الخبرية مخفوض دائما، تقول :

كم عبيد ملكت ! وتقول : من عبد ملكت !..." وحديثنا قياسٌ"!

4 ـ قصيدة حنوّ ص 51.

ورد في الجملة الشّعرية الأولى :

سُتْرَةُ الصّوف يا أبَتِي (بِثبْتِ الياء)



2487

فأرعب حرف ياء النّسبة الصّديق فأطلقها علنًا بالاذاعة ومكتوبة بخط يده، خطأ شنيع فظيع (مشدّدًا على نغمة الجناس) متعلّلا بالقرآن الذي ذكرها سبع مرّات دون ياء. فقلت : ما ضرّ لو تأنّيت وتصفّحت ابن جنّي مثلا أو ابن يعيش أو ابن هشام أو علي رضا في (مرجعه) ص : 133 و 134 :

"إذا كان المنادي المضاف إلى ياء المتكلّم أبًا أو أمًا جاز فيه :

1 ـ حذف الياء وابقاء الكسرة دليلا عليها "يا أمِّ"

2 ـ إبقاء الياء ساكنة نحو "يا أمي"

3 ـ إبقاء الياء ساكنة مفتوحة نحو : يا أمِّيَ"

4 ـ فتح ما قبل الياء وإبدال الياء بألف نحو : "يا أمّا".

5 ـ ابدال الياء تاء مكسورة نحو: يا أمّتِ" أو تبدّل هذه التّاء بهاء عند الوقوف فتقول : "أمّه".

6 ـ ابدالها تاء مفتوحة نحو : يا أمّتُ"

7 ـ إبدال الياء بتاء مفتوحة وإضافة ألف إليها نحو : "يا أمّتا".

8 ( الاتيان بياء المتكلّم وقبلها تاء زائدة "يا أبَتِي" ولا تستعمل إلا في الشّعر للضرورة.

يا له الشّعْرُ، ما أكبرهْ ! لا يرتقي سلّم "قراءته" إلاّ ناقدٌ كبيرٌ !

5 ـ قصيدة بحر العروس ص 65

ورد في نهايتها :

وما درى بأنّه

وماءه وأشركَه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## قد وقعوا في الشبكَهْ

فعاب الصَديق استعمال "أشرك" على وزن أفعل معتبرا أنّ الشَرَك حبائل الصَيد جمعها شرك وأشراك وغضى عن المعنى الذي وسَعت له صدر القصيدة وهو يتجاوز الشرك لجميع أنواع الحبال والسَيور إذ الشراك سير النَعل على ظهر القدم وجمع على أشرك وشُرُك. ولعبة المخاتلة والمراوغة مبنيَة عليها القصيدة. ولا أروم شرحها لأنّ الطبيب يشرّحه الطَبيب ! ولا يشرّح نفسه بنفسه وإن كان عارفا بحكمة الحكماء، قادرا عليها.

6 ـ قصيدة العاشقون ص 70.

ورد في نهاية المقطع الثّاني :

*والذي سَكَبَ العَيْن*

*هَلْ يُغْلِهِ هُدْبُ تلك العيون.*

فلاحظ الصديق أنّ (هل) لا تجزم الفعل المضارع (يعليهِ) فقلت نعم لكنني ـ وقد حفظْتُ ذلك المثل البلاغيَّ منذ سنين (ومن يخطب الحسناء، لم يغلِهِ المهرُ.)

وفعلا استعملت (لم) في بداية ولادة القصيدة. واختمرت عندي أكثر، فحاولت تعويض لم بهل المفيدة للسؤال الإنكاري وأنا واع تمام الوعي باختلاف عملهما النَحويَ، اختلجت في البدْء لكنني وجدْتُني مصرّاً في النّهاية على التخريج الخاطئ، لكنه ـ شعريًا ـ ألذّ. وقد تعمل (هل) في الشعر عمل (لم) حسبِي، وابن جنّي يعتبر أنّ اللغة ليست توقيفا وانما هي مصطلح.

وبالمناسبة، وأنا أتصفح وجه هذه القصيدة الأوّل ألفيْت أنّ مقطعا رابعا عزيزا علىّ قد سقط مِنّي وأنَا أهيّئها للطّبع :

جاؤوا

من المدّ مُدّ الشِراع

عُرَي لا تلين

من القدّ قدُّ الذّراع

ذرًى لا تخون

وشُدَّتْ إلَى هامة الشَمْس هام الجبِينْ :

هل العِرْقُ للعِذْقِ إلاّ يُشرِّعُ : كُنْ، فيكونْ

7 ـ قصيدة الشّيخ والشّجرة ص 120

فقال ـ ودمْعُهُ حرّةٌ مُرّةٌ هِمَره

وقال الصّديق ـ حزِنًا ـ الدّمْعَةُ لا تكون إلا حرّى. قلت : صدعت باعتبار المعجم، لكن باعتبار الشعر قد تعانق آفاقا أرْحب ومعاني أغْزَرَ والحال أنّ (حرّةً) من (حَرَّ يَحَرُّ حَرّةً) عطش والشيخ في القصيدة ظمآن صد لماء الشجرة.

والحرّة أيضا : العذاب الموجع وهو المقصود ما بين (الشيخ والشجرة).

لكن كيفْ تقول الوجع دون أن تذكره ؟ اسعفيني يا لغة خارج اللّغة.

بل كيف تجد القارئ الذّي يغوص ويحلّل ماهو مقول دون اخطاء ودون أن يرفض ما قلت ليقوّلك ـ تعسّفا ـ ما يريد هو قوله !

هل الأزمة أزمة نصّ أمْ أزمة قارئ ؟ ويلك يا أبا تمّام ويلك !

8 ـ قصيدة أمّ الأصابع ص 121

جاء فيها بالصّفحة 126 :

وإنْ تنعتين :

طريق الحديد إلى معصمَيْ

وضيق الوجود علَى مقلتَيْ.

احترز الصَّديق على (إنْ) الجازمة لفعل الشرط المضارع وعلى حرفيْ الجرّ (إلى) و(على).

أما فيما يتعلّق : بإن فهي طبعا جازمة في الجملة التلازمية (شرطا وجزاء) وإنّي إذ اعترف بالخطإ فمن باب السّهو الذي يتدارك وليس من باب الجهل بالأمر كما حاول الصّديق أن يصرّ وكأنّه قبض على المجرم.

وحتّى هذا السّهو تساءلت عنه حينما تنبّهت وعدت إلى المسودّة فألفيت أنّي كنت كتبْت [إذْ] وحين هيّأت القصيدة للطباعة كتبت إن.

وإنّي بالمناسبة أنزّه أن يكون الخطاط الفنّان (شهاب باشا) قد أخطأ، وحتى إن فعل فقد تمّ التّدارك عند المراجعة لما كتب مقارنة بما قدّمت له.

أمّا فيما يتعلّق بحرفيّ الجرّ فهما لا يعودان إلى فعل (نعت) كما ذهب إلى ذلك الصّديق - على خطإ بيّن (ولا أقول في تشفّ : فظيع شنيع لأنّي... كدت أقول لولا الحَيَا...) بل يعودان إلى الفعل اللاّزمة (Refrain) في القصيدة (سَمْى) المحذوف إضمارا..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحك يا أبا تمامّ، ويحك ! قلنا لك. لماذا لا تكتب لنا ما نفهم ؟ فأجبت : ولم لا تفهمون ما أكتُبُ !

# ملامك الزيتية

الاهداء : الى الشاعر عزيز الوسلاتي «عسل الدفلى» وايام الصبا....

عيناك، يسكن الحزن في عمقيهما،
وتنام الذكريات،،،
عيناك، لون البحر،،
أو عل البحر سرق لونيهما
وأسلم جفنه للسبات،،
فلنقل، ان للبحر لونه،،
من أين – اذن – لون السماوات؟!
ومن أين أوجد الزهر لونه؟
لولا حمرة الوجنات..
ولنقل، أن للبحر لونه،،
وللزهر لونه،،
من أعطى كحل الجفن لليالي الحالكات؟!
دعنا من كل لون... ولنقل...
ان للبحر لونه،،
وللزهر لونه،،
ولليالي كحلها وظلامها،،
ولنقل ان للدر لونه...
من - اذن - وهب الشعر
لحون الضحكات؟
ومن اعطى الشمس دفئك؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمعابد طهرك، والنمنمات؟
أو نقل، أنك سرقت السحر،،
وسرقت لون الزهر
ولحن الشعر،،
ودفء الشمس،،
وسرقت النور والطهر...
هل عَسل النحل لولا السرقات؟!
اني احبك... مثلما انت...
كالزهر،، أو برعم الشوك
أو ريح شيح وزعتر...
أو ظبية الوادي
أو ريم الفلاة...
وليكن انك لا تعرفين البحر،،
ولا تضعين المساحيق على العيون ولا تقرئين المجلات...
وليكن انك تكرهين «البنطلون»
ولا تشربين السجائر والخمور
ولا تمشين مشية السائحات،،،
وليكن ان كفك تخمش،،
جرحتها سنابل الحقل الصغير
حصدتها،،
ودرستها،،
ورحيتها،،
بالرحى وهي تدور
وثغرك يهزج بالاغنيات...
وليكن، ان الطابون صوّح جدائلا،
لم تلامسها الحالقات،،
اني.. احبك...
وسوف احبك،
كزهرة دفلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوقت على شفا جدول
ينبض بالحياة...
يابنة الريف الذي براني
برعما حلو الصفات،،
يابنة الريف الذي رفّ في خافقي
يجلو عنه الازمات...
يابنة الريف الذي يطعم الكل..
قمحه وغلاله
وحليبه ورجاله
وشياهه - في المرج تثغو -
... جائعـــــات!...
سأحبك، وإن كان اسمك،
روضة... أو فضة... أو حيّاة...
سأحبك... فقط لأنك،
لم تدنسك المدائن،،
ولم تمرسك حتى النظرات!.
يابنة الريف الذي براني..
برعما حلو الصفات...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



# صاحب الجبين الأسمر

شعر: أميرة الرويقي الجبابلي

لـلّه درُكَ...
يَا صاحب الجبينِ الاسمَـرْ
جئتَـنـي في الصباح
شمسًـا...
جئتَـني في المساء
همسًـــا
وجـئتَـني في الدُّجى
أحْلَـــى قمَـرْ
لله درُّكَ...
يَا صاحبَ الجبينِ الأسمَـرْ..
أنتَ في الصحراء
نخلٌ...
وواحات مسْك
وحُـقولٌ عَـنْـبَـرْ
وأنتَ في شِـتائي
دفءٌ
بدَّدَ بَـرْدَ السَّـفرْ
وأنتَ في الظَّـلماء
نورٌ...
جاءَ نَـجْـمًـا واستقرْ
وأنتَ في الضوضاءِ
هُـدوءٌ...

جاءَ سـحرًا وانتثـرْ
وأنتَ في الوِجْـدانِ...
عِـشْقٌ
جَاء نارًا تستعـرْ
وأنتَ في الغُـرْبَـة...
شَـوْقٌ..
جاءَ قهْـرًا وانتظَـرْ
وأنتَ في القلْـبِ
تَـوْقٌ
جاءَ عـطْرًا ومطرْ
وأنتَ في الجسَـدِ...
ارتجاجٌ...
جاءَ بُـرْكانًـا خطِـرْ
وأنتَ في الرُّوحِ
مُـرُوجٌ..
جاءَتْ قَـمْـحًـا..
جاءَتْ شيحًـا
جاءتْ وَرْدًا
وزَعْـتَـرْ
جاءتْ في لوْحِـي قَـدَرْ

■ المنستير: 1993/1/23

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# لك القصيدة البكر ...

شعر : فوزية علوي - القصرين

لأنك الوحيد
مَنْ فتن النجوم والأكوان ...
فأنزل الثلوج في تموز ...
وأجدبَ الشقيق في نيسان
وأقطفَ الريحان في تشرين
وغير في لمحة من جُرحْ / خارطة الزمان

فبدل الشروق للمغيبْ
وحير الزمان
وأنبت في مفرق القمر ضفيرة المرجان ...

***

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأنك الوحيد
من ثور القيافي
وأربك القوافي
وزلزل الزحاف

فمات في علته ..
وأعتق الرؤى فطار كاليمام
وسافرت في سربه قوافل الغمام
وقال للمغني :

لتنتشر في صوتك يا صاحبي
غدائر الكلام ...

أريدها داعرةَ
غارقةَ في شَعرها
سابحةَ في شِعرها
لا تعرف اللجام .

وقال للمغني :

لتنتشر يا صاحبي
كضحكة من عمر/ نسيها السّجن
ولتنفلق كدمعة أرهقها الحَزَنْ
وفلقة من صبح
تحير الظلام في سجنها فَجْنْ ...

***

وقال للسهول :

من شرقها لغربها
من عرسها لحربها
من أول الأنواء في الجليل
لآخر القمح /
في موكب الأشواق والصهيل ...
تهاطلي ... تهاطلِتي
وبددي الأرق
وزرويعي في غيمة ذاكرة الشفق ...

ونوري ..
تصوري لو أنه الأفق ...
يصير مرجة
وأنت يا دُراقتي أرجوحة الحبق ...

***

لأنك الوحيد من أركع القلق
وفيض التنور بالحب والعرق ...
وغازل الزيتون والليمون
وزف للغسق
لابد لَكْ من قصة نخيلها كلام
في حبرها تناوحت سبأ
وآغتسلت بلقيس بالغمام ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لابد من ورقْ نباته عنادلْ
ونسغه ألقَ ...
لابد من قصيدةَ لم تقترف درويَها القوافلْ
ولا سُبِي قطافها
تعانق الجريد بالسحاب ...
ولم تساقط طلعة
لظبية أسكرها الصدى
وتعتعت عيونها جحافلُ السراب ...
لابد لكْ / من واحة
نخيلها ما قد من قبلْ ...
ولا تلطخت آرامها بقطرةَ من دم ...
تعانق الأعراب والذئاب
وسيجوا أبوابها
وحصنوا محرابها
لا يدخلنْها عابر أو ثائر
حروفها طلاسم ...
حراسها الحيات والأراقم ...
معصومة المياه والعناب
محروسة الأبراج والقباب
ممنوعة إلا على كفيكْ ...
محجوبة إلا على عينيكْ
مفتاحها الأعذاقَ ...
ممرها الأحداقَ والأعناقَ ...
يا حيا حي على الأشواقَ ...
يا حاديا حي على الأشواقَ

ف / ع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# ترثرة في زمن الحرب

قصّـــة بقلـــــم: مختار المومني
أبو حسان (صفاقس)

عندمـا دخلت منزلي كـانت زوجتي في فنـاء الدار أمـامها جفنة الصّـــابون... زوجتي يـداها تكرنفتا من غسيل الصابون... زوجتي لا تجلس إلى جفنة الصابون إلا وبجانبها برّاد الشاي وهو يوشوش.

قالت زوجتي في امتعاض.

ـ لقد أذاع الرّاديو منذ قليل بلاغا يعلن فيه أن الحلفاء ضربوا ملجأ العامرية والخسائر فادحة في الأرواح.

نزل الخبر في طبلـة أذني كالمعـدن الصلب... أحسست أن نصلا حـادا ينغرز في جنبي.. يقطع شراييني. أسرعت إلى الراديـو... فتحته... كان يخشخش أدرت المؤشر عدة مـرات.. كانت الكلمات مبهمة.. أغلقتـه في عصبية ـــ خرجت إلى فنـاء الدار... كان ولـدي صابـر يرسم أشيـاء مبهمة في ورق... سألته:

ـ ماذا ترسم يا صابر؟

ـ أرسم خارطة الوطن الكبير ـ أجاب.

قلت له:

ـ لا تنس أن ترسم على الخارطة زمن الانكسارات...

فتحت باب الدار المتئاكل. جلست أمام الباب على الـدرجات الإسفلتية المتداعية.. جاءت حمامة جارنـا المنصف... حطت على غصن من أغصان الشجرة شجـرة التوت الوحيـدة أمام داري التي اشتريتها بمصـوغ زوجتي... شجرة التـوت تعطي توتـا أسود... نأكـل بعضه عندمـا ينضج... ونبيع بعضه الآخر للجيران. نشتري بثمنه خيارا تصنع بـه زوجتي «سلطة».. ولدي صابر يحب «السلطة» كثيرا... شجرة التـوت تعطي توتا حلوا... جـذعها غليظ أغصانها سامقـة. يأتي عندها الأطفال في أيـام الصيف يعلقون فيهـا حبالا ويتأرجحون. في الـربيع عندمـا تنضج ثمارها يأتي الصبية ويضربون أغصانها بالطوب حتى تسقط ثمارها.. أزجرهم أحيانا برفق... وأحيانا أسبهم فيتفرقـون وهم يتضاحكـون... أصبت مرة أحـدهم بحجر فشججت رأســه... أخذتـه في سيارة تاكسي إلى الاستعجالي فضمّـد الطبيب جرحه وعدت به إلى منزلهم خاصمني والده... سبّـني... لم أهتم لذلك... دخلت منزلي وأغلقت الباب.

باب المنزل اشتريته ذات يوم غانم من سوق الأشياء المستعملة.

تناديني زوجتي.. تطلب مني أن أصب لها الماء في جفنة الصـابون... زوجتي ومنذ سنة وهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلح عليّ أن أشتري لها غسالة... تريديها من نوع: «...» زوجتي تعرف أنواع الغسالات كما أعرف أنا أنواع شفرات الحلاقة. بائع التقسيط رفض أن يبيعني غسالة لانني لا أملك بطاقة هويّة... بطاقة هويتي ضاعت ذات يوم ممطر... تعبت كثيرا من أجل استخراج نسخة منها ـ النسخة ايضا اضعتها... ومنذ أن اضعتها وأنا لا أحمل بطاقة هويّة...

عشر سنوات وأنا أحمل بطاقة هويّة ولم أحتج لها إلاّ عندما ضاعت. كنت أقول لزوجتي أن غسيل اليد أنظف من غسيل الغسالة... تتجاهل زوجتي كلامي... زوجتي تعشق أغاني فيروز... كثيرا ما أسمعها تغني ـ «باكتبك اسمك يا حبيبي ع رمل الطريق».

أدخل غرفتي.. الأشياء في غرفتي المعتمة صامتة... يسربلها الحزن... على الحيطان صور لحيتان مختلفة الأشكال والأحجام... وكتابة بالدهن الأزرق «الله» و «محمّد».

أحيانا أتخاصم مع زوجتي... تعيّرني بفقري.

ـ عشر سنوات مرت على زواجنا ولا أملك في دولاب ملابسي سوى فستان بهت لونه وحذاء تهرّأ كعباه وفي معصمي ثلاثة أسورة من فضة... في الليل أسمع حفيف شجرة اللوز على جدران البيت..

في يوم راحتي أرسم الجدران الخربة لمنزلي وأعزق شجرة التوت...

شجرة اللوز لم أعد أهتم بها... لقد أفسدها دخان الطابونة القابعة حذو جذعها... الدخان عبث بأوراقها وأغصانها فشحت ثمارها وتآكلت فروعها وبدت على وشك السقوط... في شهر رمضان أبيع خبز الطابونة... أستعين بثمنه على مصاريف المنزل...

تأخذ زوجتي غسيلها.. تصعد إلى سطح الدار... أدلف إلى المطبخ... على الأسمنت الأسود بقع من الزيت مختلفة الأشكال، في ركن المطبخ يقبع وابور الغاز وعليه طنجرة صار لونها أسود قاتما بفعل الدخان، وعليها غطاء لا يقل عنها سوادا... رفعت غطاء الطنجرة... كان فيها مرق.. أخذت صحنا من فوق الرف... غرفت قليلا من المرق... اقتطعت قليلا من الخبز. خرجت إلى فناء الدار.. افترشت جلد شاة وجلست ألوك خبزا يابسا مغموسا في مرق جفاه اللحم منذ شهر.

تنشر زوجتي غسيلها على السطح فوق الحبل المهترىء.. يتقطع الحبل فتسقط الثياب المبللة على سطح المنزل فتتعفر بالجير.. تناديني زوجتي أن أصعد إليها لأعينها على شد الحبل ونشر الغسيل أصعد إليها على عجل.

وأنا أصعد الدرجات الاسفلتية يتناهي إلى آخر أخبار أم المعارك: «لقد ضربت صواريخ الحسين في عمق الأرض المحتلة وأصابت كل الاسرائيليين بالذعر والهلع».

أعود إلى فناء المنزل مسرعا... كان ولدي لايزال يرسم خارطة الوطن... قلت له:

ـ أعد رسم الخارطة يا ولدي ولا تنس أن ترسم عليها باللون الأخضر أملا بسعة الحلم.

(انتهت)

قصة قصيرة

# الخريق

بقلم : المختار ثم

كانت الساعة الحادية عشر ليلا عندما دقّ جرس التلفون.

«ماذا يريد في هذا اللّيل، ماذا تذكّر، ألا يكفيه ما أمر به طوال النهار، آه ما أقسى الحياة في هذه المؤسسة.

- آلو! أهلا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عفوا، لقد شعرت بالتعب خلال هذا اليوم فنمت مبكّرا، أما ذلك العمل فقد أتممته وسأرسل به غدا إلى الوزارة حتى يتمّ النظر فيه ثم بعد ذلك يعاد لنا. أمّا ملفّ المصاريف فلم تصلني بعد الوثائق الرّسمية لذلك أجلته إلى حين.

«مسكين هو ومسكين الذي يحادثه أيضا، طوال يومه وهو يهذي بما قام به، أنا لم أطلب منه ذلك، ما يهمّني هو أيمن لا المصاريف، ولا الوزارة»

- ألو! أيمن، نعم

- ألو! أمال، أهلا

هل يوجد الجديد، كيف حالها، هل أتصلت بها، هل تحدثتما في الموضوع، ماذا كان ردّها. وتساءلت أحلام في حيرة «هل كان حقّا يحبّني، ألا تكون خطّة رسمت خيوطها أمال وبنفّذها هو الآن»

ـ أيمن! أنا أحلام وليست أمال ولا سي محمود، أنا أخاطبك الآن مباشرة بدون واسطة بعد أن نام من في البيت، لم يبق إلاّ ذاتي يفكّر في ما قالته أمال فحاولت أن أكلّمك مباشرة وأعرف منك كلّ شيء بعد أن عرفتني، هل عرفت الآن!؟

مدّ أيمن يده إلى سيجارة كانت إلى جانبه بعد أن إعتدل في سريره قائلاً :

ـ أحلام، أنت أحلام! المعذرة عمّا بدر مني لقد كنت مشغولا هذه الأيام بعدّة أعمال

ـ لعلني أزعجتك في هذا الوقت، لكنني ظننته أنسب وقت.

تواصلت العلاقة بين أيمن وأحلام فترة من الزمن شعر خلالها أيمن بسعادة كبرى فقد تبدلت حياته ممّا جلب انتباه اصدقائه في العمل ذلك أنه كان يستعجل ساعة انتهاء العمل لكنهم لم يعوا سرّ ذلك.

فقد عمد إلى اخفاء السر حتى على ابن عمّه ذلك أنه كان يغلق الباب متى أراد مكالمتها. ومرّت الأيام وأيمن على هذه الحالة لا يلوي على شيء سوى تقسّط أخبار أحلام. وكان كلّما عاد إلى البيت بادرته أمّه بالسؤال عن حاله نتيجة الشحوب الذي بدا على وجهه لكنه كان دائما يتعلّل بكثرة الأعمال.

وفي احدى أيام العطلة وبينما كن جالسا في فناء البيت اقتربت منه أمّه لتحدثه عن الأتعاب التي تنتظر العائلة في هذه الصائفة نتيجة الأفراح المتزايدة في القرية. فخرج أيمن من صمته على إثر سؤال وجهته له أمّه :

«أيمن متى سيعاد لنا ديننا، لقد أنفقنا كثيرا في هذه الأفراح ونخشى ضياعه؟»

ـ بنت الحلال لم توجد بعد

ووجدت الأمّ الفرصة سانحة للحديث عن بنات أختها.

ـ هنّ كثيرات، يا عزيزي، ولعلّ ليلى صغرى بنات خالتك قد بلغت السابع عشرة من عمرها وهل يوجد من يضاهيهن جمالا!

لكن أيمن لم ينطق بكلمة فقد خيّر الصمت على ازعاج والدته التي شارفت على الستين من عمرها غير أنّ حديثا المتواصل عن بنات أختها وبنات الجيران جعله يقول لها :

ـ إبنك قد أخذت منه الحياة كلّ مأخذ لكن الأمر يمكن أن يستقرّ على فتاة تماثلهنّ سنّا تقطن على مسافة عدّة كيلومترات من هنا.

ـ يا للعار، كيف يتمّ ذلك وأنت تعرف كلام الجيران، ماذا سيقول والدك متى سمع! أتريد أن تجعل منّا أضحوكة أمام الآخرين، أتريد أن تتركنا فريسة للفقر والفاقة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واللّه! لو يوافق والدك على ذلك لحرّمت هذا البيت على نفسي منذ اليوم. ولم يقطع كلام الأمّ ذاك إلا وقع خطى زوجها وقد عاد من الحقل ذلك أنها نهضت لتحضر له غداءه فقد خرج منذ الصّباح لكنه أوقفها سائلا عن أمرها فقد سمع صوتها لكنها أخفت ذلك متعلّلة بالحديث إلى ابنها أمّا أيمن فنهض من مكانه قاصدا صديقه العائد من فرنسا منذ مدّة ولم يلتقيا.

ـ هل سمعت ما قاله ابنك، ما رسمناه قد ضرب به عرض الحائط فماذا ستقول الآن لجيرانك، كيف ستقابلهم؟

قالت حليمة ذلك لزوجها إثر خروج أيمن مضيفة :

ـ إن وافقت على ذلك فإنّ منزل إخوتي هو ملاذي.

ـ الولد مازال صغيرا فكيف تأخذيه بمثل هذا الكلام فلعله يمازحك فهل أقرّ هو الآن ذلك.

ـ إن سكتّ اليوم فغدا سيأتيك بها

وأوشكت الشمس على المغيب وأيمن لم يعد إلى المنزل على عادته وأذن لصلاة المغرب ثم العشاء ممّا زاد في لحيرة أفراد العائلة..

ومع مرور الشطر الأوّل من اللّيل خرج الأب ليلتحق به لكنهما التقيا في الطّريق وبسؤاله بيّن له أنه قد نزل عند رغبة صديقه للسّهر معه.

وبات أيمن ليلته في حيرة من أمر والدته وسلوك والده تجاهه ومن الغد وعند دخوله المكتب دق جرس التليفون :

ـ ألو! أهلا آمال

ـ كيف حالك ، لقد حاولت الاتصال بك منذ مدّة لكنّي لم أفلح

ـ خيرا إن شاء اللّه

ـ والعافية أيضا، لقد أرسلت لك أحلام رسالة وبعض الصّور فأردت أن أسلمها لك

ـ إذن هذا المساء سأكون عندك إثر انتهاء العمل.

وانقضى ذلك اليوم الذي لم يلاحظ أيمن طوله من قبل وعند الساعة الخامسة أغلق باب المكتب ليذكر آمال بقدومه :

ـ ألو! آمال ها أنا قادم الآن!؟

ووضع السماعة ثم خرج قاصدا المكان الذي تمرّ به آمال وهو يدقق النظر لعله يلاحظها من بعيد فيتجنب كلّ المخاطر نتيجة العيون التي تحيط به وإذا بشبح يقترب منه بسرعة فيتباطأ بعض الوقت وازداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشبح قربا فإذا هو شبح امرأة تسير إلى جانب رجل مسنّ قد حمل بين يديه ملفًا به عدّة أوراق

تغافل أيمن عنهما بعد أن تيقن أن أحد السائرين هي آمال وعند الإلتقاء حوّل نظره إلى الجهة اليمنى حيث بعض الفلاحين وقد ارتفعت أصواتهم استعدادا للعودة من العمل وهو في حيرة من أمر الشيخ الذي يصاحب آمال «ها أنا قادم» سمع أيمن هذا الكلام دون أن يعيره أيّ اهتمام في البداية لكنّ تكرّره جعله يلتفت إلى مصدره.

ـ لقد خيبت ظني فيك، كنّا نعتبرك قدوة لابنائنا لكن؟ قال الشيخ مفتاح والد آمال ذلك

ـ لكن ماذاسمعت؟ ردّ أيمن ذلك وهو في ذهول.

ـ لقد عرفت الآن حقيقتك وهاهي الدّلائل تؤكد ذلك ولي حديث مع والدك.

وواصل الشيخ طريقه وآمال تتبعه في حين بقي أيمن واجما في مكانه في حيرة من أمره وقد أخذت منه الظنون وشعر بالمرارة نتيجة التسرّع ثم تابع طريقه بخطى متثاقلة وهو يفكرّ في أمره وما سيكون عليه حاله أمام سكان القرية.

وفي إحدى الأيام وإثر صلاة المغرب بينما كان والد أيمن في طرقه إلى البيت إذ بصوت يرتفع مناديا إياه، وعند إلتفاته عرف أن الشيخ مفتاح هو مناديه

ـ لقد كبرنا يا شيخ مفتاح فقلّ السماع

ـ مازالت صحتك على ما يرام

أين كنت هذه الأيام فقد سألت عنك لكن لم أجدك

ـ خير إن شاء اللّه

ـ هذا ما نريده لكن!

ـ لكن ماذا؟ ماذا حصل في القرية؟

ـ ما حصل يبدأ من بيتك هذه المرّة.

وازدادت حيرة محمود والد أيمن من هذا الكلام فألحّ على الشيخ مفتاح بالإفصاح لكنه أبى متعلّلا بأنّ المقام غير موات وأمام حيرته المتزايدة طلب منه العشاء عنده والحديث في هذا الأمر...

ثم تمّ الاتفاق على اللّقاء في بيت الشيخ مفتاح أو من الغد في الحقل قرب البئر.

وعاد محمود إلى بيته حيث وجد زوجته في انتظاره لتناول العشاء وسرعان ما تمّ الأمر وقام يستعدّ للذهاب إلى دار مفتاح للسهر.

وعند وصوله أمر مفتاح بإحضار كأس شاي لمحمود لكنه أبى ذلك زاعما أنه أخذ نصيبا قبل قدومه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعند نوم بقية أفراد العائلة وخلو البيت من كلّ حركة قام مفتاح ليأتي ببعض الأوراق قال :

ـ إن سلوك أيمن هذه الأيام قد تغيّر عمّا ألفناه منه!

ـ أنا لم أتفطن لشيء وأنت تعرف انشغالي منذ مدّة بالحقل خاصة بعد أن انقطع ثلاثة عمّال عن العمل.

ـ كنت أحسبه أخا بناتي يا سي محمود

ـ سبحان الله وهل هو غير ذلك!

ـ هذه أولى الحجج والبقية سأحكيها لك فابنك يريد أن يقطع بيني

وبينكم فهو يريد أن يغرّر بآمال بعد أن فعل ما فعل مع أخرى سبقتها هذه صورتها.

ونظر محمود في الصّورة دون أن ينطق بكلمة حيث أطرق ينظر إلى الأرض وهو يغمغم بكلام غير مفهوم والشيخ مفتاح يسترق النظر إليه مبتسما ثم قال :

ـ القصّة طويلة، يا صاحبي فماذا سنقول الآن ولا تظنّ أننا أوّل من سمعنا بها خاصّة وأنني اكتشفت الأمر قرب المزرعة الحكومية أين يوجد عمّال من مختلف الجهات!

ولم يستطيع محمود الكلام بل نهض من مكانه قائلا :

ـ غدا نلتقي

وعاد إلى بيته فلم يتفطن لعودته أحد إلاّ زوجته وقد لاحظت على وجهه علامات الحيرة فحاولت أن تتوضح ذلك لكنه أجابها :

ـ لقد حكم عليّ ابنك بالسجن، ماذا سيقول النّاس!

فازدادت حيرتها ولم تستطع الكلام حيث لم تألف هذه الحالة منه وبعناء قالت :

ـ ماذا فعل؟

ـ فضيحة واللّه!

لقد أطلعني الشيخ مفتاح على حقيقته فلم يكفه ما فعله مع فتاة تلك العائلة التي وفدت على القرية منذ سنتين بل تجاوز ذلك إلى آمال ابنته وقد لهجت القرية بذلك.

وحاولت الزوجة نفي الخبر لكن زوجها أطلعها على الصّورة.

ثم تمدّد الأب في فراشه وهو حائر من أمره وأمر صديقه الشيخ مفتاح ولم يدم صمته طويلا إذ به يقول لزوجته :

ـ الأمر قد تمّ الآن ولا يمكن تجاوز هذه الفضيحة إلا بحلّ سريع ولعلّ تزويجه من أمال يكون الحلّ الأنسب.

وأمام إصرار الزوج على هذه الفكرة رضخت الزوجة للأمر ووافقت على الأمر.

ومن الغد خرج الشيخ للعمل كعادته لكنه سرعان ما أحسّ بالتعب وهمّ بالعودة لكن عدم قدوم صديقه جعله يلازم الحقل وتوسطت الشمس السماء لكنه لم يأت فقرّر الالتحاق به في بيته وبوصوله وجد الشيخ مفتاح مريضا فحاول التخفيف من حدّة الألم وقد ذهب به الظنّ إلى أنّ ما وقع هو السبب في مرض مفتاح وانتهز فرصة خلو الدّار ليهمس له بما عزم عليه عند ذاك نهض مفتاح من فراشه مجيبا.

ـ إنّ أيمن صغير السنّ وقد حصل الأمر الآن فنحاول تجاوز الأمر وكتمان السرّ ولعلّ ما فعلت يكون أجدر.

فواللّه لم أر للنوم طعما طيلة البارحة من جرّاء ذلك.

أمّا أيمن فقد كاشفته أمّه بالأمر عند عودته من العمل فصاح في وجهها نافيا حدوث ذلك كلفه ذلك ما كلّفه وخرج دون أن يعلم بوجهته.

ولم يعد ليلتها إلى البيت ممّا زاد في غضب والده وتوعده بالطرد من البيت ان لم يمتثل لأمره فيتجاوزوا ما حلّ بهم.

وشاع الخبر في القرية وتوافدت النسوة على أمّ أمال يهنئنها بهذا الحظّ. ومرّت سنة على خطوبة أمال دون رؤية أيمن ممّا أثار استغراب أمها لكنّ أمال تجاهلت الأمر معللة ذلك بانشغاله بأعماله الكثيرة خاصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد الترقية المهنية التي حصلت له وكانت في ذاتها تعرف السبب وتتمنى أن لا يأتي.

ومع بداية فصل الرّبيع وبينما كانت العائلتان تستعدّان للعرس رفع أيمن سماعته ليخاطب أمال :

- ألو!

- ألو، من؟

- أيمن

- .....

- نلتقي هذا المساء إثر انتهاء العمل فإلى الملتقى.

وانقضى اليوم وأيمن يعيش حيرة من أمره وأمر آمال وأحلام ونوع العلاقة الجديدة التي فرضت عليهم نتيجة جهل العائلة الأمر فلم يستطع أحد منهما مكاشفة العائلة بسرّ العلاقة القائمة بينه وبين الآخر وعند المساء أخذ مكانه إلى المكان المحدّد وإذا بآمال تقترب منه ضاحكة :

- أيمن، أهلا

وتبادلا التحية ثم ساد الصمت بعض الوقت لتقول آمال :

- أيمن هل أنا أحلام .

- فأضاف

- كلاّ أنا أيمن

- والعرس على الأبواب فماذا نترقب إذن؟

- لذلك أردتك هذا المساء....

وكانت العطلة الصيفية حيث زار فيها أيمن دار الشيخ مفتاح بأمر من عائلته ليلتقي ثانية بآمال قبل الموعد واتفقا على أن يلتقيا في اليوم الموالي بالحقل

كان النهار مشمسا والجوّ صحوا وقد رافقت الأمّ ابنتها إلى الحقل لتتركها بعد ذلك مع عريسها دون أن يغيبا عن أنظارها وانشغلت الأمّ إثر ذلك بالصبية وهم يمرحون في الحقل، يصيح هذا ليسكت ذلك.... وفجأة تذكرت ابنتها فنظرت صوب المكان لكنها لم تقع لهما على أثر فاتجهت صوب المكان حيث البئر وماهي إلاّ لحظات حتى سمع صياح اهتزت له أرجاء الحقول فتوجه من بالقرية نحوه وإذا بالأمّ تشير الى قاع البئر :

»لقد غرقا، لقد غرقا، اسرعوا ! لقد ماتا معا !!

1992.1.25

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# محطات ثقافية

بقلم : *الازمر النفطي*

1 - <u>العقل العربي، خصوصيته وموقعه من الثقافة الانسانية</u> :

احتضنت دار الثقافة بحومة السوق ايام 30-31 مارس وواحد افريل 1993 ندوة دولية هامة تحت عنوان : المعقول والامعقول في الفلسفة، نظمتها اللجنة الثقافية المحلية بالتعاون مع جمعية الدراسات الفلسفية بتونس، شاركت فيها نخبة من الاسماء العالمية البارزة في مجال الفكر والمعرفة نذكر من بينها المفكر السوسيري "دانيال شلاتاس" الاستاذ المحاضر بجامعة لوزان "والاستاذ المغربي" طه عبد الرحمان" والاستاذ "مطاع صفدي"اضافةالى ثلة من الاساتذة الجامعيين التونسيين كالدكتور "علي الشنوفي والاستاذ "توفيق الشريف" والاستاذ " صالح مصباح" والاستاذ "محمد بن ساسي".

وقد تمحورت محاضرات هذه الندوة حول قرار اقتحام العقل للاعقل ومعقولية الساسية والخيال والعقل ومراتب العقل والبحث عن المعقولية في العلم اضافة الى المحور المركزي لهذه الندوة (المعقول واللامعقول في الفلسفة) الذي تناوله بالبحث والتحليل الدكتور "علي الشنوفي".

أما الاستاذ "مطاع صفدي" فقد وقف في دراسته (حداثة العقل) عند تحديد مفهوم العقل باعتباره قوة كليانية تتوزع على ثلاثة محاور رئيسية هي :

- العقل المسائل عن نفسه وعن ماهيته
- العقل المتسائل عن ادواته وعن منهجيته
- العقل المتسائل عن موضوعه.

ولاحظ المحاضر ان المعقولية الحديثة ليست سوى الشيء ونظام معرفته اذ في سياق هذا التعريف تشتغل المحاولات الفلسفية النقدية المعالجة لكل اشكال العقلانية وانتهى المحاضر الى ابراز ضروب التداخل الميتافيزقي والايدولوجي بين المعرفي والانطولوجي اذ الح على نموذج الثقافة الفردية وطريقة اشتغال العقل فيها باعتباره يقدم نفسه نموذج العقلانية المكتملة بينما العقل في الاصل لا يعبر الا عن خصوصيته ويستعبد كل عقلانية او محاولة للتعقل خارجه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2 - الدورة الثالثة لمهرجان مسرح المدارس الابتدائية ببوسالم:

تعتبر الدورة الثالثة لمهرجان مسرح المدارس الابتدائية التي احتضنتها هذه السنة دار الثقافة ببوسالم محطة ثقافية رائدة، تركت اثرها في القلوب والنفوس، اذ البسها الشاعر عبد الله البلطي مدير هذه الدار ثوبا قشيبا تجاوز به توقعات المشاركين والملاحظين الذين واكبوا ايام 30 و31 مارس و1 و2 افريل 1993 هذه التظاهرة الثقافية المتميزة وقد تجلى اثر هذا النشاط الثقافي المتميز في عيون تلاميذ المدارس الابتدائية بمعتمدية بوسالم الذين توافدوا على المهرجان من جميع المؤسسات التربوية بالمنطقة لينعموا بالتسلية والافادة حيث عاشوا فعاليات عرسهم الطفولي في ابهى حللها.

وفي نفس السياق الثقافي الاحتفالي احتضنت هذه الدار ايام 28-29-30 افريل 1993 فعاليات الدورة السابعة لمهرجان ربيع الابداع الادبي تحت شعار تجليات الابداع في النص المسرحي العربي المعاصر وذلك بمشاركة ثلة من المختصين في متابعة الفنون الدرامية ونخبة من المهتمين بمواكبة ونقد الاثر الابداعي المكتوب نذكر من بينهم الاساتذة :

- محمد المديوني الذي حاضر حول :"الابداع الادبي في النص المسرحي التونسي.

- فتحي القاسمي الذي شارك ببحث حول : الانسان والتراث في مسرحية السدّ للاديب محمود المسعدي.

- فرحات الدربسي : الذي قدم دراسة حول : خصائص الكتابة المسرحية نظام العبارة ونظام السورة.

- مصطفى التواتي : الذي تحدث في بحثه الموجه اساسا الى تلاميذ الاقسام النهائية عن : "مأساة اوديب بين سوفكل والحكيم".

- الازهر النقطي : الذي ساهم بمحاضرة وسمها بـ "ملاحظات حول كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي.

وقد شاركت في فعاليات هذه الدورة نخبة من صفوة الشعراء التونسيين.

3 - الملتقى الوطني للبشير خريف ايام 16-17-18 افريل 1993

احتضنت دار الثقافة البشير خريف بحي الطيران على مدى ثلاثة ايام الملتقى الوطني الاول للبشير خريف تحت شعار (البشير خريف الاديب والانسان) وقد افتتح

اشغال الملتقى الاستاذ يوسف الرمادي مدير ديوان السيد وزير الثقافة . وقد تمحور الملتقى اساسا حول كتاب "بلارة" من مؤلفات الاديب الراحل وآخر ما صدر له من مؤلفات عن مؤسسة بيت الحكمة بتحقيق وتقديم من الباحث فوزي الزمرلي.

وقد نظمت مائدة مستديرة شاركت فيها مجموعة من الاساتذة عرفوا البشير خريف عن قرب وتأثروا باعماله، فساهموا بالتعريف به كانسان وبمؤلفاته كأديب لافادة جمهور الشباب بتجربته وكابات البشير خريف الاديب والانسان.

ومن بين الاسماء التي شاركت بالشهادة والبحث في هذه المائدة نذكر الاساتذة : فوزي الزمرلي، محمود بالعيد، عبد اللطيف عبيد، بشير المجدوب، جلول عزونه وسلمى خريف ابنة الاديب الراحل.

اما مفاجأة الملتقى فكانت بلا منازع مسرحية (ويضطرم الرماد) اقتبسها عن كتاب "بلارة" الشاب الموهوب عادل بن احمد واخرجها المخرج الواعد محمد العروسي الزبيدي. تحمل مضامين مشاهدها الاربعة اسقاطات تاريخية من خلال ما تشهده المجتمعات الدولية في مرحلة عسيرة من حياة الشعوب تقوم على النزاعات العرقية والعقائدية والعنصرية التي تلهب جمرة الحروب والخلافا، تناولها عادل بن احمد بطريقة تأليفية ايحائية تجاوز فيها عقدة التنافر والضغائن لتضع الانسان في ادوارها بين ثنائيات التقابل القائمة على : الحب والكراهية، التفاؤل والتشاؤم، الأمل واليأس وذلك في نسيج مجتمعات عالمية متباينة.

(والملاحظ ان "بلارة" هي اميرة حفصية ساهمت في انقاض تونس من براثن الاستعمار الاسباني).

## * دنيا المجلات

مجلة فضاءات وآفاق، نشرية فصلية جامعة تصدرها اللجنة الثقافية المحلية بالمسعدين، وتساهم في تحريرها ثلة من المثقفين من مختلف المستويات والدرجات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الاستاذ الجامعي تهامي عبدولي والاستاذ محمد الناصر الحمروني ومن الساهرين على اعدادها ونشرها المربي السيد توفيق نقلة. وهي تضم داخلها سبعا وسبعين صفحة من الحجم الكبير.

# الاقلام الواعدة

**اشراف الاستاذ:**

**عبد المجيد زين العابدين**

ما أحسن أن يعمل الانسان ويشقى جاهدا في سبيل تحقيق غاياته وتأكيد انتصاراته في الحياة. انك تراه يعمل حازما صامدا مجاهدا متنقلا من امتحان الى امتحان، علما بأن الحياة في نهاية المطاف ان هي الا سلسلة امتحانات واختبارات وتجارب قدر على الانسان أن يلج عمارها ويسلك سهولها وأوعارها ويعيش أجواءها ويتخطى مراحلها وأطوارها ويحرز منها ما يدعم قدراته الذاتية ويؤسس ملامح شخصيته المستقبلية .

تلكم الامتحانات تملأ علينا حياتنا وتطالعنا في كل آن وحين وتجلب إلينا ما قدر لنا من أسباب الفرحة أونواعي الترحة ، إلا أنها في مجموعها هامة وفضاءها كبير في تكويننا ونحت شخصياتنا بيد ان البعض منها يبدوفي أعيننا أهم وأجدى فقد اعتدنا به واعتاد بنا وقد أقيمت بينه وبين أبناءنا وبناتنا وإخوتنا وأخواتنا علاقة هي أشبه بالجسور وممرات العبور، فمواعيدها واحدة موحدة ، توافق في مجموعها هذه الفترة بالذات حيث يتطلع الجميع الى الصيف بوهج شمسه وشدة حره ونعومة بحره وحكايات أمواجه ومال شوذئه الممتدة المنبسطة .

الى هؤلاء جميعا تتقدم الاتحاف بأخلص تمنياتها بالنجاح والتوفيق ، ونحن ندرج في هذه الحلقة باقة إبداعية مما افرزته أقلام بعضهم من أشعار وخواطر .

*** الى المثقفة الآنسة سهام بن عمر أصيلة حي الزهور الرابع بتونس.**

لقد قرأت لك أيتها الآنسة الهام أقصوصتك المعنونة بعنوان (زمج الماء) وهي ثرية لغتها متسلسلة فقراتها مؤلمة أحداثها تشد القارئ بما تفرزه على نفسه من ملامح مأساة فتاة بسبب عفوتها وبراءتها وقسوة المجتمع علنها بعد الواقعة المؤلمة التي تردت فيها والتي تتمثل في اغتصابها من قبل الشيخ الغريب الذي وقعت في مخالبه، بيد انك بالرغم من كل هذه المواصفات الإيجابية التي اضفيتها عليها ، فإنك لم تعني بتصويب أخطاءها التي أرجح ان تكون مطبعية صرفة ، ولئن كانت كذلك فليس لك أن تدعيها بدعوى أن الآلة الراقنة هي التي أفرزتها ، بل انت مطالبة بتصحيحها جملة جملة وكلمة كلمة وحرفا حرفا. بهذه الصورة يضمن

لك المستقبل نجاحك في مسيرتك القصصية أوالشعرية أوغيرها وتسيرين فيها سيرا ثابتا متأنيا . هذا وإني أدعوك الى أن تصلي مجلتك " الاتحاف" بما لديك من محاولات إبداعية ذكرت لنا منها على سبيل المثال "المقرور" و"صمت واخز" فهي ترحب بك وبانتاجك وتتيح أسباب النشر لكل محاولة موفقة لم تنشر من قبل في أية صحيفة حفزا لك من جهة على استحثاث قريحتك نحوالتجديد والابتكار وتجنيبا لقراء الاتحاف قراءة النصوص المكررة أومجترة من جهة ثانية .

**انشر لك في هذا الحيز نصك الشعري المنثور وعنوانه :**

## اعتـــراف

لم تكن قدرا...
كنت شظايا اعمال الرجس...
سقما سكبته في كاسي ...
بركانا فقاته برمشي ...
لعبة مارد أحضرتها لتعسي ...
لم تكن قدرا ...
انت نار اوقدتها...
شرخ حفرته ...
تمثال نحته لأحطمه بنفسي ...

*****

لم تكن قدرا ...
في عمري كنت سنوات القحط ...
الغازي انا فتحت ..... حصون قصري ...
اكنوبة لطخت بها صدقي ...
صنارة قرصان افتضت بحري ...

******

لم تكن قدرا ...
انت سكينا كدت اجذبها الى رأسي ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضفائر حزن نسجتها لنحسي ...
أبواب السعير أغلقتها خلقي ...
هذي جراحاتي لمتها بالصمت ...

إ - ع
حي الـــزهـــور الرابع - تونس

* الى صديقة الإنحاف الآنسة المهذبة مريم السباعي .

أيتها الصديقة مريم ، أعتقد أن علاقتك بالقلم ستتواصل إن أنت عملت على استحثاث موهبتك وقدراتك على التأليف، والتفت في ذات الآونة الى مطالعة آثار جيدة في ميادين القصة والاقصوصة والرواية أوالشعر .

إن اسلوبك سواء في هذه المقطوعات الشعرية المنثورة أوفي تعليقك على مفاجأة أحد نصوصك الشعرية المنثورة منشورا في ركن "الاقلام الواعدة" وهوينم عن قدرات عديدة كامنة في أعماقك .

ترحب بك الإتحاف ثانية وتدعوك الى امدادها بمحاولاتك وتجاربك حتى يتاح لها الكشف عن قدراتك في ضوعها وتنشر لك في هذا الحيز مقطوعتك الشعرية النثرية وعنوانها:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## المرايا العقيمة

قصت أظافرها
قصت ضفيرتها
ارتدت ما استطاعت من الملابس
نظرت في المرآة ، لم تجد صورتها
صاحت يا ويلتي ... وتجردت
نزعت عنها كل الاثواب
نظرت في المرآة ... لم تجد صورتها
نتفت شعرها
وصمتت
هرعوا من كل الجهات
ازدادت التأويلات
أشعلوا المواقد

تلوا كل التعاويذ
سألوا كل المارين عن صمتها
سألوا كل القادمين
قصدوا كل العرافين
وحينما عادوا وجدوا كل المرايا محطمة !!

م – س

* الى صديق الأنحاف السيد فيصل عبد السلام أصيل حي هلال بالسيدة المنوبية .

لا تخلوكتاباتك ايها الصديق فيصل من أحاسيس رقيقة شفافة تنبض وطنية الا أن اللغة لها رونقها ولها دورها في تجلية المعاني والكشف عن الأحاسيس والمشاعر الدفينة .

رجائي منك أن تسعى الى إثراء رصيدك اللغوي إذ أنه من أنجع العوامل على حسن التعبير عن ادق الأفكار وأرق المشاعر وكذلك الاجتهاد في معرفة كيفية تغذية الأفعال والمصادر المشتقة منها الى مفاعيلها ، وبذلك تحصل على لغة سوية نقية ومعبرة سلسة في ذات الآونة .

أسوق لك في هذا الفضاء ما عنوانه "بلادي ... مجدك والفصول الأربعة" بعد تنقيحه وتهذيبه :

بلادي تحلت بلون الربيع
وحاكت من "السرج" ثوب الحياة
أيا جنة من فرادس ربي
مصيفك يسبي القلوب
وسحرك ذلك سحر "عجاب"
بلادي خريف...
رياحك هب النسيم
وتلك الغصون
اذا ما تعرت
ستلبس ثوبا
جديدا ... جديدا ...
بلادي شتاء ...
رذاذ يطهر ...
ويغسل فيك بقايا المشيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفير الرياح ...
علي التل يشدو
وفي الغاب موج
يموج ....
كفستان أخضر ...
حليب مصفى ... على السرج يطفو...
جليد وثلج ...
بياضه سكر...
بلادي ...بلادي...
عروس البوادي...
كستها الثلوج بفستان عرس ...
بلادي ربيع ...
جنائن تثمر ...
براعم تفتح ...
وتلك البساتين تزهر...
بأبيض...
بأخضر...
وريحان أحمر ...
خرير الجداول
يشجي ...
وينساق بين المسارب كالسلسبيل ...
تدفق ...
نشيد البلابل أنغام فرحى ...
وشحرور نوما ... يغني ...
ويهتف ...
هنا في بلادي ...
فصول تزركش ...
وترسمها للجمال ...
جمال وآية ...
أيا موطني يا عروس البوادي ...

* ف -ع- س*

السرج : هوجبل السرج وفيه يقع الوطن المنشود .... أصيل حي هلال - السيدة المنوبية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# ملتقى الإشعاع وليالي الإبداع

**مهدى إلى الطفل الذي صرخت في أعماقه البراءة :**

إعـداد :

**الهادي العبدلي**
**خليفة الخياري**

-أتصبح يا إلهي أتصبح-

ليس من اليسير أن يجتمع الناس اليوم بعاطفة فياضة ورغبة صادقة متحدية حول هدف واحد مهما كان سموه في عصر الإنفراد والسأم . فحينما يصبح الإنسان ساعيا سعي أي كائن حي دون طمع في بلوغ الكفاية من أبسط مقتضيات العيش ... تفقد مقولـــــة « الإنسان مدني بالطبع » تلقائيا كنهها وتستحيل الروح صفدا وخواء مستقيما . ولعل أبسط علامات مثل هذا العصر أن يحجم المرء خجلا عن فتح كتاب في مقهى أو حافلة خشية أن يوصف بالتلميذ أو أن يصفع بأسخف أمثالنا الشعبية « بعد ما شاب علق كتاب » هذا لمثل يتداوله الكبار ويسمعه الصغار وبئس الواصف والصفة والموصوف . في مثل هذه الحقبة من حلكة تاريخ العالم الثالث ماذا عسانا نعتبر هؤلاء الذين حلوا بيننا من مختلف أنحاء البلاد وفي الرؤوس شيب أو شيء من علامات . وفي الأعناق كتاب أو بعض من لوازمه ومسؤولياته ' ليسوا حجيجا ونرفض الأتحاف أن تكون محرابا ، ما أتوا للإعتراف بذنوب أثقلتهم ونرفض أن تكون كهنة رهبان إبداع . وما كانوا رسلا وما نحن في حاجة لكتاب مسطور تتنزل فيه القناعة من أي جهة كانت ... إنما هؤلاء تجليات الضمير الأنساني الذي أدمن تبديد ذاته تاريخيا لا يستقيم كافرا بحضارة النهم الموجه والشبع الإصطناعي إلا إذا توفر الإطار الجامع لهذه التجليات دون تقييد أو منع أو انتقاء وليكن هذا الإطار مجلة ثقافية أو حتى مجرد عرس شعبي بسيط بشرط أن يكون فسحة بوح وملاذ أنس لهذا الضمير المغرب عنوة في زمن برغمه على أن يكون حرا دون استثمار الكم المتوفر من الحرية أو بعبارة أوضح أن يؤمن بوجود الماء ويؤمن في نفس الوقت بإمكانية الإرتواء من غير ماء . وهذا في نظرنا ماتى أزمة الإبداع عندنا وليس ضيق ذات اليد كما يزعم البعض ، لأن الأزمات المالية قد تمنعنا من تأسيس فضاءات للمبدعين لكنها لا تمنع الروح المبدعـة من خلق العبارة الشيقة والفكرة النيرة ولنا في الدول العربية ذات الإمكانيات المادية الضخمة عبرة . فبعضها تتجاوز ميزانية إحدى وزاراتها ميزانية دولة بأكملها في حين يخجل القارىء الجاد من أن يتناول بعض دورياتها الثقافية لمجرد التصفح هذا إذا توفرت . فلا موارد التموين أغنت ولا المكاسب أجدت .

وفي هذا المضمار يقول الدكتور علي شلش : « إن الدول العربية المعاصرة تقف مع الأدب أحـد

موقفين غير صحيحين ، فهي إما تقتر بسبب ضيق ذات اليد وإما تغدق بسبب سعة ذات اليد وكلا الموقفين غير مطلوب فلا التقتير يصنع أدبا ولا الإغداق ينشىء إبداعا . ولكن الأدب والإبداع تصنعهما التجربة الإنسانية ولا تنضج التجربة الإنسانية سوى الحرية في تلقيها والحرية في التعبير عنها » [ العربي / فيفري 1992 ] .

من هذا المنطلق تابعنا ملتقى الإتحاف ، وبهذه القناعات نحاول أن نتناول محتوى جلساته تناولا نقديا أساسه توخي الموضوعية في تبين قدرتنا على توفير الفضاء الحر ومدى إفادة المداخلات التي ساهم بها أصحابها في جعل هذا الملتقى لبنة تأصيل للمسار الثقافي في تونس ونواة تحليل للعوائق والملابسات الحافة ببطىء النمو الثقافي الذي لا يرضاه كل ذي حس وطني صادق .

وحري بنا في البدء أن نحيط القارىء علما من باب الوفاء لالتزاماتنا ولذوقه وتقديرا لمتابعته ومشاركته طيلة موسم ثقافي في إثراء هذه المجلة الناشئة ببعض منجزات هذا الموسم الثقافي الذي ركزت بالخصوص على تخطي الثغرات ومحاولة تلبية مقترحات القراء وعلى رأسها غايتان نتفق في شأنهما وجل القراء : العمل قدر الإمكان على استيعاب المادة الصالحة للنشر ، والمحافظة على إخراج تتوفر فيه أدنى شروط الجودة وهو خلو الأعمال المنشورة من الأخطاء . وهما مطلبان تبدو عليهما البساطة إلا أنهما في الحقيقة انعكاس لإشكال أعمق متعدد الأوجه وله تأثير نافذ على صلة المودة التي تربطنا بالقراء .

وفي محاولتنا إعطاء كل ذي قلم حقه في المشاركة كان الإتفاق على الترفيع في عدد صفحات المجلة ولو تم ذلك على مراحل ، وهو خيار استعضنا به على أن تصبح المجلة شهرية حتى لا تسقط في الإشباع الكمي على حساب الغناء الكيفي وخشية أن نتيح مزيدا من فرص النشر على حساب الذوق العام وأهمية المادة المقدمة . وكانت الخطوة الأولى بأن أصبحت المجلة 96 صفحة عوضا عن 88 صفحة على أن تصبح 104 صفحات انطلاقا من هذا العدد . وهو رهان كسبنا منه النصيب الأوفر ما كنا لنبلغه لولا السلطات المشرفة التي قدرت تطلعنا وأسهمت في تحقيقه . وبالمناسبة نحيي في السيد وزير الثقافة تحمسه لغايتنا وتشجيعه لمبادرتنا وكذلك مجلس ولاية سليانة الذي أسهم بالدعم المالي ورعاية التوصيات التي توجت بافتتاح مقر رسمي خاص بهـــذه

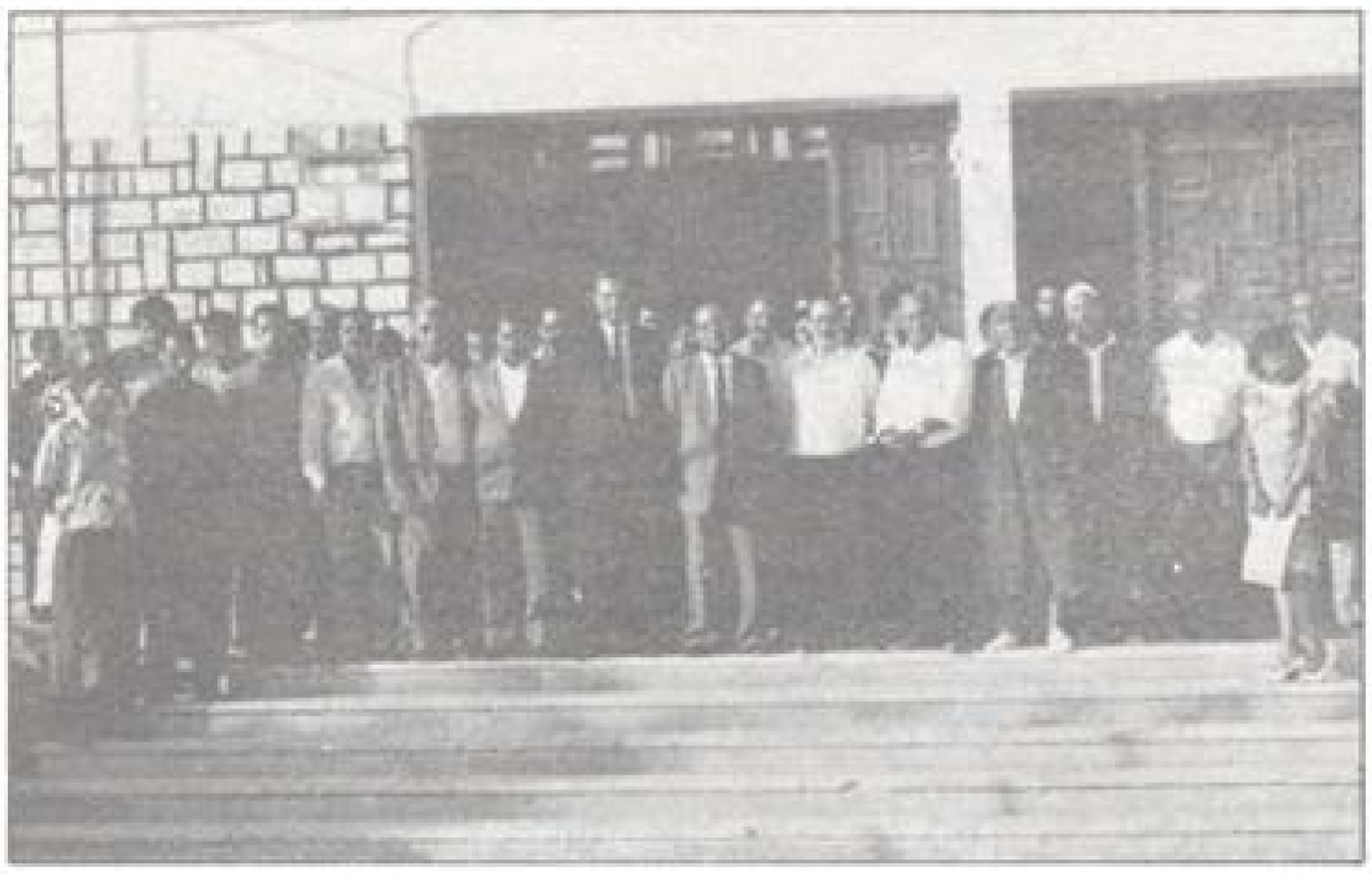
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجلة التي كانت تتخذ من قلوبنا مقرا وخاصة قلب الأستاذ عبد القادر الهاني أكبر قلوبنا سنا وأصدقها نبضا وأشدها عشقا للحبر والورق .

وفي مجابهة إشكالية الإخراج حصلت لدينا قناعة بأن ما يطال المنشورات من أخطاء نعترف أننا عجزنا عن تلافيها لا يمكن تخطيها إلا بالإستقرار والإستقـــــلال لاتاحة الوقت الكافي للمراجعة والإصلاح ونعني بالإستقرار هذا المكتب الذي وقع افتتاحه والذي يحتاج إلى أجهزة متنوعة لعلنا نوفق هذه السنة في امتلاكها ونحن بالمناسبة نحيي في السيد محمد الصغير الظاهري الذي افتتح معنا صفحة جديدة من صفحات التشجيع بأن أهدى للإتحاف لوازم مكتب بمناسبة الملتقى السابع ، والسيد محمد الهاني الذي تبرع للملتقى بمائة دينار والسيد عرام عطية بمبلغ مماثل نرجو من الله أن نكون في مستوى إسهامهم ونبل عاطفتهم .

وما نعتبره استقلالا هو تحصيل أدوات طباعة أصبحت ضرورة ملحة وقد لاقينا مصاعب شتى جراء غلاء تكلفة الطباعة وتقلب سوقها وهو ما منعنا من احترام مواعيد صدور المجلة ونتوه في هذا الإطار برحابة الصدر وجميل المساعدة من لدن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي كانت ولا تزال تحتضن الإتحاف وتقدر رسالتها . وها نحن لتحويل المقترحات الفعالة للمساهمين في الملتقى السابع إلى أعمال وإكبارا لالتفاتهم المباركة تبادر باقتناء أجهزة طباعة حديثة عساها تساعدنا على تحقيق إخراج في مستوى تطلعات قرائنا ، متحدين بذلك وضعا ماليا حساسا وصعبا للغاية نفضل خطره على أن تتعارض أعمالنا مع الذوق الفني الذي نتحمل مسؤولية صقله وإثراءه عملا بالمقولة الشهيرة : « إن مجتمعا لا يدافع عن سلامة حسه الفني لهو مجتمع مشلول مهما تطور » وحتى لا نساهم في تلويث المحيط الثقافي العربي الذي يعاني أشد المعاناة من منحط الكتابات وأكثرها تسمما يحق عليها قول الشاعر الراحل خليل حاوي : « **تولد الفكرة في السوق بغيا /ثم تقضي العمر في لفق البـــكارة** » لا تزال مقترحات القراء نبراس أعمالنا والمنارة التي نسير على هديها لنحتفل معا بتشييد أهم مرتكزات المجتمع الصالح لينعم بالوجود والجدير بالصفة الإنسانية . وفي هذا الإشتراك تاكيد أيضا على ضرورة إيلاء المساهمين بمختلف أنواع الكتابات وأجناسها الأهمية القصوى لنزاهة القلم وصدق التعبير وموضوعية الطرح لمختلف المواضيع الفكرية والأدبية يستشفها المحرر أحيانا حتى من مدى تجاوب الكاتب مع الشروط المادية للنشر . فنحن إذ نعترف تواضعا بأننا نفضـــــل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المشاركون في ملتقى
الاتحاف السابع 17-
18-19 جويلية 1993
في صورة تذكارية



السيد محمد الصغير الزعيري
المعتمد الاول بولاية سليانة يتصفح
العدد الاول من مجلة الاتحاف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود الحرشاني وعبد القادر الهاني
يتبادلان التهنئة بتوأمة مجلتي مرآة الوسط والاتحاف



وفد الاتحاف ومرآة الوسط في صورة تذكارية
تخلد حدث التوأمة



أحيانا أخرى أخطاء ، فبنفس التواضع أيضا نعترف بأن بعض الكتابات التي تصلنا تبلغ بنا أحيانا مرتبة الإلحاح المحرج ليقبل عمال الطباعة على فك رموزها وطباعتها تلك الكتابة التي تعسر قراءتها ، كيف يمكن للمحرر أن يتخذها نموذجا على ضوءه تراجع وتصلح النسخة المطبوعة ؟ فالكتابة قبل أن تكون وعاء تعبير هي مرآة لانتظام التفكير وشفافية الشعور . والمساهمة الثقافية قبل أن تكون شرفا هي سلوك راق وميثاق تواصل على قدر كبير من الحساسية والعمق . وما كل ما يصدر عن اللسان بالقول جدير وما كل ما يتخيله الإنسان حري بالتعبير وتقبله من القـــــراء .

هي متابعة أردناها صراحة وبوحا لنطلع القارئ على بعض من المصاعب التي تتقاسم جهودنا وتلازمنا مع كل عدد نوفق في وضعه بين يديه .

وإجابة ثانية على أهم الأسئلة التي وجهتها إلينا مشكورة تلك الثلة من الخيوف التي حلت بيننا لتزيدنا عزما وإصرارا على مزيـد المثابـــــرة والبذل ، أسئلة رسخت فينا القناعة بأن صلتنا بقرائنا حميمية جدا وآملة ، يمكن الإعتماد عليها كثيرا في تحقيق المنشود . وهي ثروة من الآمال الصادقة والأفكار البارقة حرية بالإهتمام وجمع الشمل حتى تشهد الأجيال اللاحقة بأننا رغم تواضع مقدرتنا رفضنا أن نكون عالة على الوطن ورفضنا أن تدفن أفكارنا معنا .

وإذا كانت الساحة الثقافية في تونس تشهد صحوة كبيرة منذ ما يقارب الخمس سنوات ، وإذا كانت سياسة الدولة الحالية تجلت في أبهى مظاهرها وأعطت للثقافة مكانة بارزة وجعلتها في صدارة أهتماماتها نتيجة أختيارات منطقية وعوامل ظهرت نتائجها الأساسية من خلال ربط عملية التنمية بالثقافة وأعتبار الثقافة عنصرا لا غنى عنه في التنمية ، فإن مجلة الإتحاف لم يغـب دورها البارز في هذا المجال وأخذت على عاتقها منذ صدور أول أعدادها في غرة جويلية 1985 إلى اليوم جانبا من هذه المسؤولية الجسيمة بفتح منبر أمام ذوي الكفاءة والهواة من رجال الثقافـــــة والأدب وجمع شملهم لإكسابهم مزيدا من التكتل واللحمة وكسب التجربة والإشعاع على محيطهم والمجتمع . حتى أنها تجاوزت أفقها الضيق من خلال ما أصبحت تتمتع به من تقدير وأحترام لدى مختلف الأوساط وخاصة الوسط الثقافي والتربوي فصارت المجلة ذات البعد الوطني يشهد لها به الجميع برغم محدودية الموارد المالية وتواضع الإمكانيات إيمانا منها بقداسة الرسالة التي تتحملهـا .

وأنطلاقا من هذا الإيمان ، وأملا في مزيد التطوير والسمو وأحتلال المكانة المرجوة منها في المستقبل العاجل والآجل ، وتنفيذا لعهد قطعته على نفسها بأن يكون لها لقاء سنوي مع

أحبائها وقرائها ، كانت أيام 16 و17 و18 جويلية 1993 موعدا لعقد ملتقاها السنوي بين أحضان جبل السرج وزامة وسليانوس .

الجمعة ، والسبت ، والأحد هي بداية الأسبوع الثالث من شهر جويلية 1993 ، لم تكن أياما عادية بالنسبة لولاية سليانة بل لكافة الأسرة الثقافية والغيورين على الثقافة ، ثلاثة أيام هي ثماني سنوات ظلـــــــت و ستظل قبلة على جبين وطننا العزيز طبعت بعصارة أفكارنا بل بدموع مهجنا فصارت وصمة حلم جميل منه ما تحقق ومنه ما هو أمل منشود من أجله آجتمعنا ، فكان هذا اللقاء وشعارنـــــــا « الإتحاف إشعاع من الشمال إلى الجنوب » ، وتأملاتنا ترنو إلى إثارة ما طرح في الجلسات الرسمية من مواضيع وتتجاوز ذلك لتغطية الهوامش وظروف الإلتقاء ليقيننا أن لكل نفر من المشاركين جملة من الأفكار والملاحظات لازمته منذ تصفحه للإتحاف أول مرة ونحن من بينهم ، فتميز اليوم الأول بتدشين مقر مجلة الإتحاف الذي وفرته مشكورة وزارة الثقافة ممثلة في المندوبية الجهوية للثقافة ومعرض الرسام عبد العزيز الدريدي ومعرض وثائقي يجسم مسيرة الإتحاف في الصحافة الوطنية ببهو دار الثقافة إبن أبي الضياف من قبل السادة : الصغير الزعيري المعتمد الأول والهادي الغياط الكاتب العام للولاية وعبد الحميد قضومي معتمد سليانة الشمالية وعمر خلف معتمد سليانة الجنوبية وبحضور ثلة من الإطارات الجهوية الذين أعطوا لهذا الحدث نفسا معنويا كان محل تقدير من قبل الحضور وخاصة أسرة تحرير المجلة التي رأت بعد إلقاء الأستاذ عبد القادر الهاني كلمة المجلة آحتفاء بهذه المناسبة ما يميز هذا الحدث عن غيره نظرا لمكانة المثقف والمؤسسة الثقافية لدى السلطة السياسية واحترامها له وإعطاءه الأولوية ضمن الأولويات .

وأول جلسة علمية تضمنها برنامج الملتقى موضوعها الطفل وآكتساب عادة المطالعة آشرفت القاصة مسعودة أبوبكر على تنشيطها نيابة عن الأستاذ عبد الجبارالشريف الذي نرجو أن يكون مانع حضوره خيرا . في هذه الجلسة شهد المتابع نقاشا جديا وفعالا نجحت انصديقة مسعودة أبوبكر في إدارته والإرتقاء به إلى مستوى تفتقده أحيانا الملتقيات العلمية . وكانت المبادرة بإلقاء محاضرة في المضمار التفت حول أسئلتها الآراء ، إلا أن آتجاهين متقابلين منطلقا ومؤتلفين غاية سادا النقاش كان على الصديقة مسعودة أن تتفطن إليهما . فمن ناحية تصدى صديقا الإتحاف

الأستاذان عبد المجيد الشارني وعثمان الجلاصي الشريف إلى المسألة أعتمادا على نظريات علم نفس الطفل بالإرتكاز على مقـــولات ج/بياجـي ( Piaget ) وسكنار( Skinnert ) وروسو ( ROUSSEAU ) وغيرهم ... وإن كانت هذه المقولات قد تقادمت نوعا ما ... ومن ناحيـة ثانية سادت الآراء الإنطباعية والتجريبية جل التدخلات لعل أبرزها تدخل الأديبة فاطمة سليم أعتمادا على تجربتها الخاصة مع أبناءها وتدخل الزميل محسن الكريفي انطلاقا من واقع الطفل في الشمال الغربي وتجربته التعليمية . إلا أن الشيق في هذا التعارض أنه أوقد جذوة الحماس وأسهم تلقائيا في إنجاح الجلسة ، ولقد أثار أنتباهنا عدم الإشارة إلى قطاف الإتحاف وهي نشرية موجهة إلى الأطفال كنا نأمل من خلال طرح هذا الموضوع بالذات أن تحظى بنفس القدر من الملاحظات التي وجهت إلى الإتحـاف الأم ، وهي ملاحظة نبه إليها الأستاذ أحمد عبد الوهاب الهاني ولم تلق صدى لدى الحاضرين .

والتأمت الجلسة العلمية الثانية صباح السبت وكان موضوعها الإنخراط في المعاصرة أستهلها الدكتور محمد الصالح العياري بمحاضرة حول الإنخراط في المعاصرة لقيت تجاوبا تجسم في نقاش ثري خاصة وأن المحاضر قد تلافى ما يشوب هذا الموضوع عادة من عموميات تنظيرية وأقتصر على الأصول دون أن يهمل علاقة تلك الأصول الفكرية لمسألة الحداثة بمختلف مراحل التاريخ العربي وهو ما جعل النقاش منهجيا يعكس وعيا عميقا بضرورة ترسيخ قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وعلى رأسها حرية التعبير حتى لا تكون الحداثة وصفة دواء مسكن إلى حين أو بعبارة الدكتور العياري ( حداثة محاكاة ) مستوردة .

وقد تجسم في هذه الجلسة شعار الدورة فعلا ، ذلك أن الإنخراط في المعاصرة موضوع مصيري لا يقتصر على فئة دون أخرى . وليس عنوانا وإنما الحداثة هي ذروة التطور التاريخي ، هي خلاصة أحقاب من تداول الأمم المتتالية بما تكتنزه من حوادث وأنماط عيش ... وتلك الذروة ترتبط برؤية كل شعب لتاريخه وواقعه وإمكانيات المواءمة بين تلك الإمكانيـــات و تلك الرغبات موازاة مع وعي حاد بأن السيرورة التاريخية إذا لم توضع في الإعتبار تصبح صيرورة مكبلة لخيارات الشعب وفارضة على مستقبله مالم يعه في حاضره وماضيه . والنظر إلى الحداثة بهذا المنظـار الكلي وحده كفيل بإرساء ما يسميه « توكفيل » بفن التجمع ( L'art de L'association ) أي أن يسعى الشعب إلى الحرية والديمقراطية التي يرغب في تحقيقها لا أن ينساق إلى حرية مجهزة سلفا أو آتية إليه من وراء البحار .وفي إطار السهـــــرات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليلية كان الإختيار في الليلة الأولى للحاضرين تقديرا للأتعاب التي نالت الضيوف نتيجة السفر وتلبية لرغبة من خيروا متابعة فعاليـــات المهرجان الجهوي بولاية سليانة . أما السهرة الثانية ، فإبداعية شهدت حضورا مكثفا وتقاسيم عود تخللت القصائد الشعرية الملقاة ، وآتسمت بحيوية أثارت حماسا فياضا ولم تغب القصة القصيرة وكان الصديق عبد القادر الطويهري في الموعد .

ومما ميز هذه السهرة عدم خلوها من النقاش حول سبل الحفاظ على هذه المجلة وتطويرها وهي جملة من المقترحات نحتفظ بها لعل أهمها مقترح القاص يوسف عبد العاطي ممثل إتحاد الكتاب ببعث فرع لاتحاد الكتاب بسليانة يشمل كامل الشمال الغربي وهو مقترح نباركه ونؤمن بجدواه وضرورته ليكون سندا للإحتهادات الثقافية الجهوية . وكذلك مقترح توأمة مجلة الإتحاف وجمعية المنهل الثقافي بمنزل عبد الرحمان وهو ما تم تنفيذه في الحال بحضور الصديق صالح الدمس ممثلا لهذا النادي الثقافي .

وقد بلغت هذه الجلسة ما كنا نأمله وبينت لنا مدى جدوى التقاء المبدعين والمفكرين إذا وقع بالفعل آستثمار حماسهم وآحترام أفكارهم ، وكم يثلج صدورنا أن يغمر البشر والإرتياح وجوه ضيوفنا فيهمس توأمنا نجم الدين الحمدوني في أذن صديقه ويردد مسعودة أبوبكر مع أم كلثوم مقطوعة من أغانيها وتساهم خديجة الجويني بنشاط وعفوية وتواضع في إعداد لوازم الجلسة ويجلس الأستاذ المهدي المهري جلسة الفلاسفة ، وينغمس عبد السلام لصيلع في تأمل صامت يسكره الليل والشعر ونسيـم الشمال ككل شعرائنا ويثرثر عمر العبيدي وتعجز مسعودة عن قمعه فلا نأنس منه هدوءا إلا بعد أن يتسلم المصدح ويكرم ضيوفه بإحدى روائعه الشعرية التي تجاوزتنا لتستثير كوامن البراءة في طفل تسلل إلى المصدح وردد : « أتضح يا إلاهي ، أتضـــح » ، ونرى الأستاذ عبد القادر الهاني بجبته البيضاء بين مستقبل لضيف جديد ومثمن لرأي سديد لا يغفل إبحار محجوبة الجلاصي بكل خجل في لج القصيد وثورة الهادي العبدلي على الدهر والهجر والإنكسار وذل العبيد ...

وعن الجلسة الختامية صباح الأحد حلت الأعمال محل الأقوال وتميزت خاصة بحضور الأستاذ محمود الحرشاني للتوقيع على توأمة بين مجلتي الإتحاف ومراة الوسط وهي خطوة تلتها جملة من الإتفاقات التعاونية تنفذ لاحقا نذكر من بينها إقامة أسبوع مجلة الإتحاف بسيدي بوزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأسبوع مرآة الوسط بسليانة في مرحلة أولى ، تخللتها آراء قيمة حول التمويل الذاتي للمشاريع الثقافية وهو مقترح للإستاذ محسن الكريفي من جوانبه إحداث صندوق للمجلتين يمول من طرف رجال الأدب وتستغل عائداته للمساهمة في طبع ونشر إنتاجات المنخرطين فيه الذي باركه الجميع برغم صعوبة تنفيذه وسيبقى محل دراسة ، وجدوى الدعم الإعلامي لهذه المشاريع وهي فرصة نستغلها لنحيي المواكبة النشيطة لإذاعة الكاف منذ بداية الإستعداد للملتقى وحضور الصديق كمال حمدي ممثلا لها ومحاورا للمساهمين في الندوة وجريدة الحرية ممثلة في شخص الأستاذ عبد السلام لصيلع عن الملحق الثقافي للجريدة الذي أبا إلا أن يستقل الحافلة برغم حرارة الطقس عوضا عن السيارة الخاصة المكلفة بنقل المشاركـــين من تونس إلى سليانة وهو لعمري قمة الإيمان ونبل الإحساس في التفاني من أجل الثقافة ، والأستاذين حاتم بن عمارة عن الإذاعة القومية ومحمد البدوي عن إذاعة المنستير اللذين وإن لم تتح لهما فرصة المشاركة المباشرة في فعاليات هذا الملتقى فإنهما لم يتركا الفرصة تمر دون أن يواكباه إعلاميا عبر أمواج الأثير وحرصهما على الإعلام عن برنامج عمله ، وكل وسائل الإعلام التي شاركت في تغطية لقاء الإبداع وموكب الإشعاع .

وحتى نوفي كل من ساهم في نجاح الدورة السابعة لملتقى مجلة الإتحاف حظه ، ولإكرام كل ذي جهد صادق نتوجه بالشكر الخاص إلى السائق النابه رجب الصحراوي الذي أمن النقل للضيوف المبجلين ذهابا وإيابا وعاملات المطبخ اللاتي بسهرهن على إكرام الضيوف قد أكرمن سليانة ومبدعي سليانة في المقام الأول .

وفي أنتظار الملتقى الثامن نذكر بما قاله Luis Dollot :« إن الثقافة تأبى الإستسلام وإن كل ما يحط من شأنها ويفسدها ويبتذلها غريب عنهـا هي ليست ملك قبيلة ولا سلطة عامة ولا تجار المجتمع الرأسمالي وليس في وسع الآداب ولا الفنون ولا العلوم آحتكارها ، وإنما هي الحرية القصوى المسبوقة بالتهيؤ ، هي البحث المتجرد والإهتمام بالأصالة والتطلع إلى الكلي وتجاوز الذات والحاجة إلى المشاركة . هي مطلب تحسين وإحكام ، ونفاذ ، وآبتكار ، وأمل . هي إيثار وسخاء ومجانية وعدم آرتواء وتواضع وقلق ومحبة ... هي المقدمة المتطلعة إلى أسمى أشكال الحياة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الإتحاف في عرسها السابع

شعر: الحبيب دربال

قد عشقناك (1)، فليكن مايكـــــــون ... أنت در مدى الحياة ثميـــــــن

قد عشقناك لا نريد جـــــــزاء ... حسبنا العمر بسمة وحنيـــــــن

وجعلنا الوداد نصب العيـــــــون ... فإذا الود قاهر لا يليـــــــن

كتب الله أن تكوني منـــــــارا ... في ربوع تحارفيها العيـــــــون

في ربوع عرفت فيها رجـــــــالا (2) ... وعرفت العذاب كيف يهـــــــون

يا ربوعا أحن نوما إليهـــــــا ... وبإتحافها- أنا مسكـــــــون

عانقيني فلست أهوى ســـــــواك ... لست شاذا لكنني مفتـــــــون

بجمال لم أحتفل بشـــــــذاه ... فهو خالم وبالهوى مشحـــــــون

يستلذ الحياة من كان صبـــــــا ... لا هجينا وحظه مغبـــــــون

حملتني "الإتحاف" عبئا ثقيلـــــــا ... مستديما، لغيره لا أديـــــــن

حملتني أحلامها ورؤاهـــــــا ... والرسالات مطلب ميمـــــــون

كيف لا أسعى جاهدا و بجـــــــد ... أتقولون إنه مجنـــــــون ؟

لا يرى في الوجود شبرا مفيـــــــدا ... وله في الحياة جرح ثخيـــــــن

فمن الشعر ما يؤسس جيـــــــلا ... ومن الشعر ينبع التكويـــــــن:

ذي نصوص إذا أردت عقيقـــــــا ... ذا قريض منغم مـــــــوزون

لا تظنوا هذا الكلام مديحـــــــا ... وعلى نخبه تسير السنـــــــون

ما تغنيت في حياتي بعمـــــــرو ... أو بزيد ولم تثرني العيـــــــون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انما الحب يقتفي خطواتـــــــــــي لهب ساطع وفتح مبيـــــــــــن
ليس احلى اذا استبد بقلـــــــــب وهو في العالمين حصن حصيـــــــــن

انا يا حلوتي أغار عليـــــــــك ابدا عاشق، وغيري حزيـــــــــن
مثلما أنت في منامي عـــــــــروس أنت في يقضتي قصيد متيـــــــــن
فقليل من الصبابة إثـــــــــم وكثير من الغرام جنـــــــــون
بين هذي و ذاك ألقي بنفســـــــي في جحيم الحروف لا أستكيـــــــن
بل أظل العنيد قولا وفعـــــــلا لا عزيزا وقبلتي السكيـــــــن
صدقوني إني أنوب حنينـــــــا مثلكم أبدو صادقا لا أخـــــــون
واشتياقي عقيدة وابتهـــــــال وصمودي عزيمة ويقيـــــــن
وستبقى "الإتحاف" حلمي وعشقـــــي ورياضا تجول فيها الفنـــــون
لست أنسى قطافها يا رفاقـــــي أو ينسى القطاف قلب أميـــــن
فسخاء النفوس دوما سخـــــاء لا كلام مزيف مدهـــــون
أتمنى أن تقبلي كلماتـــــــي أنت دوما وفية وحنـــــــون
لن أقول الوداع لاأرتضيـــــــه إن يوم الوداع يوم حزيـــــــن
سوف أرضى بما رضيت و قلـــــت: "إن بعض الغرام دين و ديـــــن"

صفاقس في 7 ـ 8 و 9 جويلية 1993

(1) المقصود مجلة "الإتحاف"

(2) أمثال الأستاذ عبد القادر الهاني مؤسس مجلة الإتحاف و مديرها

(3) "قطاف الإتحاف" المجلة التي تعنى بأدب الطفولة و تصدر عن منشورات الإتحاف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# التوأمان

شعر: الحبيب دربال

تحية إكبار بمناسبة توامة مجلتي «الإتحاف»
و «مرآة الوسط»

أتَيْنَا وَقَدْ فَاحَ سِحْرُ البَيَانْ
كَمَا فَاحَ فِي رَوْضِنَا الأقْحُوَانْ
فطاب اللقاء بأرض الشمال
وفي كل قلب نشرنا الأمان
وفي الوسط المستنير التقينا
فكان حديث جميل وكان
راهان على الحرف لا ندعيه
ولكن إذا المرء صافي الزمان
وأيقظ في الكون نورا دفينا
تعود المحبة قبل الأوان
فأهلا بكم في الشمال الخصيب
بأرض الشمال لنا موعدان
وفي الحالتين تدق الطول
فنرقص شوقا وتشدو والحسان
ويعلو نداء لطيف صداه
تُرَدِّدُهُ هَاهُنَا نَجْمَتَانْ (1)
خلقنا لنرسم درب المعاني

نعمر بيتا خلا واستكان
ونجلو عن العالمين غموضا
غيوما تراود كل كيان
نسير على العهد سيرا حثيثا
ليبقى المكان لأهل المكان
لله في خلقه معجزات
ولله كون عظيم وشان
إذا فرق الدهر بين القلوب
وأعمى العيون وقص اللسان
فلا تحسبوا عزمنا مستحيلا
ولا خوف يفجؤنا أو هوان
وشدوا على صدقنا ما استطعتم
فنحن كما شئتم توأمان (2)

صفاقس: الاثنين 1993/07/12

(1) و(2) المقصود مجلّتا الاتحاف ومرآة الوسط.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com